القصيدة الثّامنة عشرة (٢٢١) بيتاً

صدى معجزة الإسراءِ والمعراج عند أمّة الإسلام (من البسيط)

١- عادَ الرَّسُولُ مِنَ الإسْراءِ جَذْلانا ... ومِنْ عُرُوجٍ لِبَيْتٍ شِيدَ أركانا[١]

٢- هَيِ الملائكُ تَأْتِي البَيْتَ سابِحَةً ... تُسَبِّحُ اللهَ إسْراراً وإعْلانا[٢]

٣- وذا الرّسولُ بِجَنْبِ البَيْتِ مُضْطَجِعاً ... قد كان قَلْبُ رسولِ اللهِ يَقْظانا[٣]

٤- بِكُلِّ وَقْتٍ يَزِيدُ العِبْءُ يَدْفَعُهُ ... عَوْنٌ مِنَ اللهِ جَلَّى عَنْهُ أَحْزانا

٥- بالأَمْسِ قد نال غَيْباً ثُمَّ بَيَّنَهُ ... واليَوْمَ قد نال غَيْباً كان تِبْيانا

٦- هِيَ السَّماواتُ سَبْعاً كان بُلِّغَها ... يا سِدْرةَ المُنْتَهَى قد طِبْتِ أَغْصانا

٧- العَهْدُ بالثَّمَرِ الْمَحْبُوبِ تَقْطُفُهُ ... مِنّا الأَنامِلُ أَعْناباً ورُمّانا

٨- أمّا ثِمارُكِ أَمْثالَ القِلالِ فذا ... شَيْءٌ رآه رسولُ اللهِ أَفْنانا[٤]

٩- لمّا تَغَشَّاكِ نُورُ اللهِ هُمْ عَجَزُوا ... عن نَعْتِ حُسْنِكِ إذ قد فاتَ أذْهانا

١٠- وذي الجِنانُ رَسُولُ اللهِ شاهَدَها ... مُلْكٌ كَبِيرٌ لِمَنْ قد جاءَ إحْسانا

١١- وذا الجَحيمُ إلهُ العَرْشِ أوْجَدَهُ ... لِلّظالمين أَتَوْا شِرْكاً وعِصْيانا

١٢- قد كان بالمصطفى الإسراءُ مِنْ حَرَمٍ ... لِمَسْجِدِ القُدْسِ حَيْثُ الفَضْلُ قد بانا

١٣- أَمَّ الرّسولُ جُموعَ المرسلينَ بِهِ ... وَهُمْ يُناجُونَ ربَّ العَرْشِ رَحْمانا

١٤- سُبْحانَ مَنْ جَعَل الوقْتَ الّذي حَدَثَتْ ... أثناءَه المُعْجِزاتُ الغُرُّ أزمانا

١٥- لا يُعْجِزُ اللهَ شيءٌ كان قَدَّرَهُ ... كُلُّ الّذي قَدَّرَ الرّحمنُ قد كانا

---

(١) جذلان : فَرِح . والبيت : هو المعمور في السّماء السّابعة .

(٢) الملائك : الملائكة .

(٣) المراد بالبيت الكعبة المشرَّفة .

(٤) القلال جمع قُلّة ، وهي إناءٌ من الفَخّار يُشْرَب منها .وقد تُسَمَّى الجرّة والشَّرْبة . والأفنان جمع فَنَن ، وهو الغُصْن المستقيم من الشّجرة .

١٦- قَضَى المليكُ بِأنّ المصطفَى بَشَرٌ ... ولِلْملائِكِ يَسْمُو الحالُ أَحْيانا[١]

١٧- كان العُرُوجُ بِهِ لا الشَّمْسُ قد بَلَغَتْ ... مَدارَ أَفْلاكِهِ والبَدْرُ ما دانى[٢]

١٨- هِيَ الجِنانُ رآها فوق ما خَطَرَتْ ... في القَلْبِ أو صافَحَتْ في النَّعْتِ آذانا

١٩- آياتُ رَبَّكَ عُظْمَى اللهُ يَعْلَمُها ... سُبْحانَ ربَّكَ ربَّ العَرْشِ سُبْحانا

٢٠- هو الحَبِيبُ بِجَنْبِ البَيْتِ إن نَعَسَتْ ... عَيْناهُ فالقَلْبُ مِنْهُ ليس نَعْسانا

٢١- مُناهُ لو يَنْقَضِي لَيْلٌ ويَتْبَعُهُ ... فَجْرٌ فيوقِظَ بين النّاسِ وَسْنانا

٢٢- كَيْ يُبْلِغَ النّاسَ جَهْراً ما الحبيبُ رَأَى ... في الجُزْءِ مِنْ ليلةٍ قد باتَ سَهْرانا

٢٣- مُهِمَّةُ المصطفى إبلاغُ دَعْوَتِهِ ... مَنْ كان ذا شِقْوَةٍ أو فاقَ إِيمانا

٢٤- إذا يكونُ رسولُ اللهِ في حَرَجٍ ... وقتاً لإِنذارِ مَنْ قد فاقَ طُغْيانا

٢٥- فإنَّ مَنْ أَنْزَلَ القرآنَ مُرْسِلَهُ ... نَهاهُ عن ذا فكان الرَّدُّ إذْعانا

٢٦- كُلُّ الّذي قد رَأَى المختارُ يُبْلِغُهُ ... مَنْ زادَ إيمانُهُ أو زاد كُفْرانا

٢٧- وحينما انْشَقَّ فَجْرٌ عن بَشاشَتِهِ ... وعَطَّرَ الكَوْنَ أَنْفاساً وريْحانا

٢٨- وطارَدَ الصُّبْحُ مِنْ خَلْفِ الرُّبَى حُجُباً ... ومَدَّتِ الشَّمْسُ في الآفاقِ أشْطانا[٣]

٢٩- وسارَ في طُرُقاتِ البَيْتِ كَوْكَبَةٌ ... مَنْ دَبَّ شيباً ومَنْ قد هَبَّ شُبّانا[٤]

٣٠- كان الرَّسُولُ ينادِي القَوْمَ يُبْلِغُهُمْ ... فَضْلَ المليكِ عَلَيْهِ أينما كانا

٣١- إن كان في الأَرْضِ فالآياتُ ناطِقَةٌ ... أو في السّماءِ يكونُ الوَحْيُ قرآنا

٣٢- رامَ الجَمِيعُ رسولَ اللهِ في شَغَفٍ ... كانوا جميعاً لِبَيْتِ اللهِ جِيرانا[٥]

---

(١) الملائك : الملائكة .

(٢) ما دانى : ما قارب ذلك المدار وهذا مِنْ باب الأَحْرَى والأَولى .

(٣) الرُّبى جمع الرّبوة بمعنى الرّابية . والأشطان جمع شَطَن بمعنى الحبل الطّويل .

(٤) كوكبة : جماعة .

(٥) رام: طلب . في شَغَف : في شدّة حُبّ وولع .

٣٣- في القَـوْمِ مَـنْ يَعْبُـدُ الـرّحمنَ خالِقَـهُ وفـــيهِمُ عابـــدٌ نُصْـــباً وأوثاناً [١]

٣٤- مَـنْ كـان قـد وَحَّـدَ الـرّحمنَ خالِقَـهُ فإنَّـــهُ ازْدَاد تَوْحِيـــداً وإيمـــانا

٣٥- ومـن تكـونُ علـى حَـرْفٍ عِبادَتُـهُ تكـــونُ قِسْـــمَتُهُ كُفْـــراً وخُسْـــرانا[٢]

٣٦- ومَـنْ تكـونُ إلى الشَّـيْطانِ وِجْهَتُـهُ يكـــون حادِيـــهِ للنَّـــيران شَـــيْطانا

٣٧- ثلاثـةٌ مَحَّـصَ الإسْـراءُ مَعْـدِنَهُمْ تِبْـرٌ تُـرابٌ ومَـنْ قـد باتَ حَـيْرانا[٣]

٣٨- قـد مَثَّـلَ التَّبْـرَ في أسْمَـى مراتِبِـهِ صِـدّيقُ مَـنْ أَرْسَـلَ الـرّحمنُ فُرْقـانا[٤]

٣٩- ومَثَّـلَ التُّـرْبَ في أَدْنَى رداءتِـهِ عَمْـرُو الجهالـةِ مَـنْ قـد فـاقَ طُغْيـانا[٥]

٤٠- فِرْعَـوْنُ أُمَّـةِ خَـيْرِ الخَلْـقِ قاطِبَـةً رَمْـزُ العَـداوةِ مَـنْ قـد كـان ثُعْبـانا

٤١- طـارَ الفُـؤادُ ابْتِهاجـاً مِـنْ أبي سَـفَهٍ كَـأَنَّ أحمـدَ يَحْكِـي غَيْـرَ مـا كـانا[٦]

٤٢- أو كـان يَنْطِـقُ مـا نَفْـسٌ بِـهِ أَمَـرَتْ مِـنَ الهَـوَى بِـئْسَ سُـوءُ الظَّـنَّ عُنـوانا

٤٣- نادَى أبـو الجَهْـلِ في قَـوْمٍ لَـهُ انْتَسَبُوا كَـيْ يَقْصِـدوهُ زَرافـاتٍ ووُحْـدانا[٧]

٤٤- حـتى إذا اجْتَمَعُـوا مِـنْ كُـلِّ ناحِيَـةٍ وكُلُّهُـمْ صـار أبْصـاراً وآذانا

٤٥- قال اسْمَعوا ما يَقُولُ الشَّخْصُ ضَلَّلَكُمْ وضَـلَّلَ النّـاسَ عُـرْباناً وعُجْمـانا[٨]

٤٦- إن كـان يَجْـرؤُ تكْـرارَ الّـذي نَطَقَـتْ بِـهِ شَـفَتاهُ اليـومَ إعـلانا

---

(١) النُصْب : ما نُصِب وعُبِد مِنْ دون الله تعالى .

(٢) على حرف : على شكّ .

(٣) التّبر : فتات الذّهب قبل أن يصاغ .

(٤) الصّدّيق : أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه . الفرقان هنا : محمّدٌ صلّى الله عليه وسلّم الّذي بعثه الله تعالى فارقاً بين الحقّ والباطل ، النّور والظّلام ، الحلال والحرام .

(٥) المراد عمرو بن هشام المخزومي أبو جَهْل . قُتِلَ عليه لعنة الله تعالى يوم بدر .

(٦) أبو سَفَهَ : هو أبو جهل .

(٧) الزّرافات جمع زرافة وهي الجماعة من النّاس . ووُحدانا بضمّ الواو جمع واحد .

(٨) العُرْبان : العرب . والعُجمان : الأعاجم .

٤٧- مـا قَالَـهُ المُصْـطَفَى مِـنْ قَبْـلُ ردَّدَهُ وَجْـــهُ الحَقِيقَـــةِ لا يَحْتـــاجُ إدْهـــانا[١]

٤٨- نَبِيُّنـــا المصـــطفى عَبْـــدٌ لِسَـــيِّدِهِ أَيَمْلِـــكُ العَبْـــدُ للـــرّحمنِ عِصْـــيانا ؟

٤٩- سُـبْحانَ ربَّـكَ مَـنْ أَسْـرَى بِسَـيِّدنا محمّـــــدٍ فَـــــرَأى الآياتِ بُرْهـــــانا

٥٠- هـذا الّـذي قالَـهُ تفسيرُ مـا نَطَقَـتْ آيُ الكِتـــابِ بِـــهِ نَتْلـــوُهُ قـــرآنا

٥١- مَـنْ يَـرْفُضِ القَـوْلَ قـد صَحَّتْ رِوايَتُـهُ عَـــنِ الحَبِيـــب يَجِـــدْ ذُلًّا وخُسْـــرانا

٥٢- كُـلُّ الّـذي يَنْطِـقُ المُخْتـارُ مَصْـدَرُهُ وَحْـيُ السَّـماءِ وقـد أَبْـداهُ يَقْظـانا

٥٣- حَيـاةُ أَحْمَـدَ بـين الـوَحْيِ يَبْلُغُـهُ وبـــين إبلاغِـــهِ سِـــرّاً وإعْـــلانا

٥٤- قـد شاء ربُّـكَ أنْ كـان الّـذي نَطَقَـتْ آيُ الكتـــابِ بـــه لِلْـــبَعْضِ فَتّـــانا[٢]

٥٥- هـذا يُصَـفَّقُ مِمّـا ٱنتابَـهُ عَجَبـاً وذا يُمَكَّـــنُ مِـــنْ قَرْنَيْـــهِ شَـــيْطانا

٥٦- وذاكَ يَرْتَـدَّ عـن دِيـنٍ بِـهِ اكتَمَلَـتْ مَواكِـبُ الرُّسْـلِ مَـنْ صـاغَتْهُ إنْسـانا

٥٧- وذا يَـرَى في ضَـجِيج السُّـوقِ فُرْصَـتَهُ كَـيْ يَنْفُـثَ السُّـمَّ في الأجـواءِ دُخّـانا[٣]

٥٨- وذا يَـرَى في سِـلاحِ الهُـزْءِ سَـطْوَتَهُ يُحَطِّـمُ الهُـزْءُ في المَيْـدانِ شُـجْعانا

٥٩- جَمِـيعُهُمْ عـن رَسُـولِ اللهِ مُنْصَـرِفٌ زِيـدَتْ قلـوبُهُمُ صَـرْفاً وخِـذْلانا

٦٠- شَـرُّ الجُمـوعِ بُغـاةٌ ضَـلَّ سَـعْيُهُمُ يَسْـتَهْزِئونَ بِـدينِ اللهِ طُغْيـانا

٦١- كانـت نـواتُهُمُ مِـنْ قَبْـلُ قـد طَرَحَـتْ شَـرّاً وحِقْـداً وتَكْـذِيباً وكُفْـرانا

٦٢- تكـون معجـزةُ الإسـراءِ إذَ جَحَـدوا زادَتْهُـمُ في مهـاوي الشَّـرْك خُسْـرانا

٦٣- تكـون معجـزةُ المِعْـراجِ قـد ذُكِـرَتْ في سُـورَةِ الـنَّجْمِ هاجَـتْ ثَمَّ نِـيرانا

٦٤- الهـازِئونَ إلـهُ العَـرْشِ دَمَّـرَهُمْ هُـمْ هَيَّجُـوا مِـنْ رَسُـولِ اللهِ أشْـجانا

٦٥- كَفَـى المليـكُ رسـولَ اللهِ شَـرَّهُمُ إذ قَطّعُـوا الطُّـرْق أَرْباعـاً وأثمـاناً

---

(١) أدهن : أظهر خلاف ما أضمر وخدع وغشّ .

(٢) فتّانا : صارفاً .

(٣) الدُخّان : الدُّخان .

٦٦- بِكُـلِّ فَـجٍّ زَعِـيمٌ مـن بُغـاتِهِمُ يُجَـذِّرُ القاصـدين البَيْـتَ إِنْسـانا

٦٧- كَلامُـهُ السَّـحْرُ مَـنْ يَنْفُـثْ عليـه يَجِـدِ لَـهُ في عَمِيـقِ القَلْـبِ سُـلْطانا

٦٨- كـأنَّ أُذْنَ الّـذي يُصْـغِي لِمَنْطِقِـهِ لم تَبْـقَ أُذْناً ولكـنْ صِـرْن آذانا

٦٩- مقالُنـا : إنّ هـذا السَّـحْرُ يَنْفُثُـهُ مقالُـهُ : كـان هـذا القَـوْلُ قـرآنا

٧٠- وأيُّ قَـوْلٍ قُـواهُ أينمـا اتَّجَهَـتْ تُمَـزَّق البيـتَ آباءً ووِلـدانا[١]

٧١- قد ضَلَّلَ النّاسَ عن عُزَّى وعن هُبَلٍ فَأَصْـبحَوُا يَعْبُـدون الله دَيّانا[٢]

٧٢- أَتَـى بِـدِينٍ هـو الإسـلامُ يَجْهَلُـهُ مَـنْ يَعْبُـدُ اللهَ أو مَـنْ أَمَّ أَوْثانا[٣]

٧٣- أَتْباعُ عِيسى النَّصارَى نحن نَعْهَدُهُمْ قـد أَشْـرَكُوا مِـنْ قَرِيـبٍ مِثْلَنـا الآنا

٧٤- هـم يَعْبُـدون مـع الـرَّحْمنِ مُرْسَـلَهُ وأُمَّـهُ وهُـمُ يُعْلُـون صُـلْبانا

٧٥- فكيـف نَتْبَـعُ مـن قـد جـاء يأمُـرُنا أن نَعْبُـدَ اللهَ جَبّـاراً ورَحْمـانا ؟

٧٦- ونَهْجُـرَ الّـلاتَ والعُـزَّى وثالَثِـةً وهـل يَلِيـقُ بِنـا هَجْـرٌ لِعُـزّانا ![٤]

٧٧- وهـل يَلِيـقُ بِنـا هْجـرٌ لِآلِهَـةٍ وهـل يليـقُ بِنـا تَـرْكٌ لِزُلْفـانا [٥]

٧٨- اللهُ سَـخَّر أقوامـاً أولِي حَسَـدٍ لِدِينِـهِ فأهـاجُوا الرَّنْـدَ والبـانا[٦]

٧٩- هم أَشْعَلُوا النّارَ كي يَقْضُوا على ثَمَرٍ ويَجْعَلُـوا الجَـوَّ دخّـاناً وبُرْكـانا

---

(١) الولدان : جمع وليد . بمعنى الشّابّ والمولود حين يولد .

(٢) الدّيّان : اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ المجازي بالخير والشّرّ .

(٣) أَمَّ : قَصَد .

(٤) اللّات : صخرةٌ بيضاء منقوشةٌ تعبدها ثقيف بالطّائف .والعُزّى : شجرةٌ بوادي نخلة بين مكّة والطّائف تعظِّمها قريش. والثالثة مناة . صَنَمٌ بِقُديَد بين مكّة والمدينة تعظّمه خزاعة والأوس والخزرج . وجاء ذكر هذه الأصنام الثلاثة في سورة النجم الآية ١٩ و ٢٠ .

(٥) الزُّلْفى : القُرْب والمنزلة .

(٦) الرَّنْد : شجرٌ طيّب الرّائحة . والبان ضربٌ من الشّجر سبط القوام ليّن يؤخذ من حَبَّه دهن طيّب .

٨٠- واللهُ شـــاءَ بأنّ النَّـــارَ تَحْـــرِقُهُمْ وأن يُغَطِّـــيَ نُـــورُ الحِـــقّ أكْـــوانا[١]

٨١- مِنْ فَـرْطِ حُمْقِهِـمُ في النَّهْـيِ عـنَ رَجُـلٍ كـــأنَّهُمْ نبَّهـــوُا مَـــنْ كـــان غَفْـــلانا[٢]

٨٢- الْخَيْـــرُ والشَّـــرُّ مَحْصُـــورانِ في نَفَـــرٍ والأَمْـــرُ والنَّهْـــيُ كـــانا بَعْـــدُ إعْـــلانا

٨٣- مـــاذا تَقُـــولُ لِمَـــنْ أَعْمَـــى بَصِـــيرتَهُ ربُّ الأَنامِ ففـــاقَ الكَـــوْنَ أَضْـــغانا

٨٤- تقـــولُ زادكَ ربُّ العَـــرْشِ خالِقُنـــا مِـــنَ العَمَـــى بِـــئْسَ أَعْمَـــى القَلْـــبِ رُبّانا

٨٥- كُـــلُّ الّـــذين نُهُـــوُا أن يَقْرَبـــوُا رَجُـــلاً يَقُـــولُ كونـــوا عِبـــادَ اللهِ إخـــوانا

٨٦- قـــد كـــان نهـــيُهُمُ أمـــراً بِقُـــرْبِهِمُ مِـــنَ الرَّسُـــولِ الّـــذي قـــد فـــاض إحْســـانا

٨٧- كـــان الـــدُّنوُّ مـــن المختـــارِ مُنْيَـــتَهُمْ المـــاءُ عَـــذْبٌ لِمَـــنْ قـــد باتَ ظَمْـــآنا

٨٨- وهـــل يَغِيـــبُ عـــن الأَحْـــرارِ فَهْمُهُـــمُ إذ يَسْـــمَعُون مـــن المختـــارِ قـــرآنا ؟

٨٩- أو يَسْـــمَعون مـــن المختـــارِ حِكْمَتَـــهُ أو يَسْـــمَعُون مـــن المختـــارِ تِبْيـــانا

٩٠- اللهُ أَكْـــرَمَ خَيْـــرَ الخلْـــقِ مُرْسَـــلَهُ محمّـــداً بِخِصـــالٍ كُـــنّ بُرْهـــانا

٩١- مَنْ ذا الّذي خُصَّ بين الرُّسْلِ أَجْمَعِهِمْ بِحُسْـــنَ مْنطِقِـــهِ إن أمَّ مَيْـــدانا[٣]

٩٢- جوامِـــعَ القَـــوْلِ أَعْطَـــى اللهُ مُرْسَـــلَهُ إن كـــان حـــال رِضـــاً أو كـــان غَضْـــبانا

٩٣- كُـــلُّ الّـــذي قالَـــهُ المختـــارُ مَنْبَعُـــهُ وَحْـــيُ السَّـــماءِ إذا أَمْعَنْـــتَ إمْعـــانا

٩٤- تَمْضِـي القُـرونُ وتَـزْدادُ الّـذي نَطَقَـتْ بِشَـــدْوِهِ شَـــفَتا المختـــارِ أَثْمـــانا

٩٥-وهـــل سَمِعْـــتَ بأن الـــدُّرَّ قـــد نَقَصَـــتْ أَثْمانُـــهُ اليـــومَ أو قـــد خَـــفَّ مِيـــزانا ؟

٩٦- كُـــلُّ الّـــذي قـــال دُرٌّ عَـــزَّ مَطْلَبَـــهُ وفـــاقَ كـــلَّ بَيـــانٍ عَـــزَّ رُجْحـــانا

٩٧- فكيـــف لـــو رتَّـــلَ المختـــارُ قـــرآنا وكيـــف لـــو رَتَّـــلَ المختـــارُ فُرْقـــانا ؟ [٤]

---

(١) الأكوان : الأمكنة ، والمفرد كون .

(٢) الغفلان : الغافل .

(٣) أمَّ : قصد

(٤) الفرقان : المراد سورة الفرقان المكّيّة .

٩٨- وكيف في الفَجْرِ لو أَبْدَى عَرائِسَهُ كانت عَرُوسُ كتابِ اللهِ رحمْانا[١]

٩٩- وكيف في بَيْتِهِ والنّاسُ قد هَجَعُوا يَقُومُ لَيْلاً ويَجْفُو النَّوْمُ أَجْفانا

١٠٠- وكيف لا يَمْلِكُ المختارُ أَفْئِدةً مِنَ الّذين رأَوْا بَدْر الدُّجَى بانا[٢]

١٠١- وكيف لا يَمْلِكُ المختارُ آذاناً إذا يُرَتِّلُ طُولَ اللَّيلِ قُرآنا

١٠٢- حَتَّى وإن كان من يُصْغِي له نَفَرٌ خَرُّوا على آيِهِ صُمًّا وعُمْيانا

١٠٣- ثلاثةٌ قد قَضَوْا آناءَ لَيْلِهِمُ لا يَشْعُرُون بأنّ الفَجْرَ قَدْ حانا[٣]

١٠٤- كلٌّ حَرِيصٌ على فَهْمِ الّذي سَمِعَتْ أُذْناهُ مِمَّا تَعُدُّ النَّفْسُ سُلْوانا[٤]

١٠٥- يُغْنِيهُمُ عن معاني بَعْضِ ما سَمِعُوا ما شَنَّفَ الأُذْنَ تَرْتيلاً وتَحْنانا[٥]

١٠٦- جميعُهُمْ يَمْلِكُ القرآنُ لُبَّهُمُ وقَلْبَهُمْ ويُحيلُ القَوْمَ آذانا

١٠٧- لكنّهم يَجْحَدُونَ الخَيْرَ قد سَمِعْت آذانُهُمْ ووَعَتْه النَّفْسُ إيقانا

١٠٨- ويُعْلِنُونَ بأنّ الكُفْرَ دَيْدنُهُمْ وأنَّهُمْ يَرْفُضُون الدِّينَ إِيمانا[٦]

١٠٩- وأنّهُمْ عَبَّأُوا جَيشاً يُناوِئُهُ وأنّه يملأُ الآفاقَ فُرْسانا

١١٠- وأنّ قائِدَ جَيشِ الكفرِ أَحْمَقُهُمْ أبو السَّفاهةِ من قد فاقَ بُهْتانا

١١١- فِرْعَوْنُ أُمَّةِ خَيْرِ الخَلْقِ كُلَّهِمُ قد كان قائدُ جَيْشِ الكُفْرِ شَيْطانا

١١٢- أوحَى إليه مِنَ الجِنِّ الّذين عَتَوْا أَخُوهُ أن يَجْعَلَ الكُفْرانَ عُنْوانا

١١٣- فليس يَنْقُصُهُ شيءٌ يُؤَخِّرُهُ عن الزَّعامَةِ إلاّ الوحيَ بُرْهانا

---

(١) عروس القرآن : سورة الرّحمن .

(٢) الدّجى : سواد اللّيل وظلمته .

(٣) هم أبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، والأَخْنَس بن شَرِيق . وأبو جهل زعيم المؤذين للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمستهزئين .

(٤) السُّلوان : دواءٌ تطيب به نفس شاربه .

(٥) شنّف الأذن : أمتعها . التّحنان : الحنين الشديد .

(٦) الدّيدن : العادة والدّأْب .

١١٤- ولـــيس يُمْكِنُـــهُ تحقيـــقُ مُنْيَتِـــهِ ولـــيس يَقْبَـــلُ أن يَنْقـــادَ إِذْعـــانا[١]

١١٥- فلـــيس يَمْلِـــكُ إلاّ الكُفْـــرَ يُعْلِنُـــهُ ووضْـــعَهُ في يَـــدِ الشَّـــيْطانِ أَرْســـانا[٢]

١١٦- يَقُـــوُدُهُمْ نحـــو بَلْـــواهُمْ عَـــدُوُّهُمُ وقـــد أبان لهـــم بالغِـــشَّ أَسْـــنانا

١١٧- حـتّى إذا القـومُ كـانوا قُـرْبَ هاوِيَـةٍ تقـــودُهُمْ لِعَـــذابٍ كـــان نِـــيرانا

١١٨- أَتَـى إلـيهم مِـنَ الجَنْـبِ الّـذي أمِنُـوا اِحْـذرْ عِـداكَ علـى الجَنْـبِ الّـذي بانا

١١٩- قـد فُوجِئُـوا أنّهـم في قَعْـرِ هاوِيَـةٍ وأنّ حـــالَهُمُ قـــد بات خُسْـــرانا

١٢٠- أيـن العَـدُوُّ الّـذي في الشَّـرَّ زجَّ بِهِـمْ في هـذه الـدّارِ مَـنْ أَعْطَـوْهُ سُـلْطانا

١٢١- ذاك اللَّعِينُ الّـذي في النّـارِ أَدْخَلَهُـمْ وقـد أَعَـدَّ لَهُـمْ مِـنْ قَبْـلُ أَكْفـانا

١٢٢- كانـت أَمانِيـهِ لا يَرْقَـى لهـا عَـدَدٌ مِـنْ عَهْـدِ آدَمِنـا والأُمَّ حَـوّانا !

١٢٣- وهـل أمانِيـهِ إلاّ النّـارُ يَـدْخُلُها مَـنْ كـان لِلْمُصْـطَفَى حَـرْباً وعُـدْوانا

١٢٤- مـاذا اسـتفادَ أبـو جَهْـلٍ وشِـيعتُهُ مِـنْ نارِ حَـرْبٍ بِهُـزْءٍ فـاقَ إثْخـانا[٣]

١٢٥- دعـا الرّسـولُ علـيهم في عِبادَتِـهِ ويَـوْم بَـدْرٍ وكـان اليَـوْمُ فُرْقـانا[٤]

١٢٦- اللهُ مَـرَّغَ لِلطّـاغُوتِ ناصِـيَةً مَـنْ لـيسُ يُكْرِمُـهُ الـرّحمنُ قـد هـانا

١٢٧- طـاغُوتُهُمْ في عَمِيـقَ الجُـبَّ جُثَّتُـهُ وجَمْعُهُـمْ ذاق طَعْـمَ المـوتِ أَلـوْانا[٥]

١٢٨- المـارِقُونَ كفـانا اللهُ شَـرَّهُمُ إذا كفـانا إلـهُ العَـرْشِ أَغْنـانا

١٢٩- بِكُـلَّ عَصْـرٍ أبـو جَهْـلٍ يُطالِعُنـا أو رُوحُـهُ بِلِسـانِ الحـالِ تَلْقـانا

---

(١) المُنية : الأمنيّة .

(٢) الأرسان جمع رسن . وهو الحبل في أنف الدّابّة تقاد به .

(٣) الإثخان : المبالغة في قتال العدوّ وسفك دمه .

(٤) فَرَق يوم بدرٍ بين الحقّ والباطل بانتصار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين على الكافرين .

(٥) الجبّ : البئر غير المطويّة .

١٣٠- وَرُبَّمـا كـانَ مِنَّـا وابـنَ جِلْـدَتِنا ... وربَّمـا بِلِسـانِ الضّـادِ نادانا[١]

١٣١- وربُمّـا انْحَـطّ دَرْكـاً في وَقاحَتِـهِ ... فَـأعْلَنَ الكُفْـرَ بـئسَ الكُفْـرُ إعـلانا

١٣٢- كُـلُّ المُـنَى أن يقولُـوا فـارِسٌ بَطَـلٌ ... يَخُـصُّ بِالشَّـرَّ دونَ الخَلْـقِ إِخْـوانا !

١٣٣- حَقِيقَـةُ الأَمْـرِ أنّ العَـيْنَ طامِحَـةٌ ... إلى العـدوَّ لِيَلْقَـى مِنْـه شُـكْرانا[٢]

١٣٤- أَلَمْ يُقَـدَّمْ إلى الأَعْـداءِ خِدْمَتَـهُ ... بِـدُون مَـنٍّ إذن فَلْيَلْـقَ إحْسـانا

١٣٥-فُتـاةُ مائِـدَةٍ أو فَضْـلُ جـائِزَةٍ ... أوِ الشَّـراءُ لِحَـقَّ النَّشْـرِ أَحْيـانا

١٣٦- مواصَـفاتٌ عَـدُوُّ الحـقَّ يُتْقِنُهـا ... ويَجْعَـلُ الطُّعْـمَ شَـبُّوطا وصِـيجانا[٣]

١٣٧- وتـدفَعُ الأُمَّـةُ المِعْطـاءُ مِـنْ دَمِهـا ... ضَـرِيبَةَ الحُمْـقِ مِمَّـن بات نَشْـوانا

١٣٨- فَلْنَتَّـقِ اللهَ في أبنـاءِ أُمَّتِنـا ... فـإنَّهُمْ كَنْزُهـا قـد فـاقَ أَثْمـانا

١٣٩- أمانَـةٌ خـافَ هـذا الكـونُ يَحْمِلُهـا ... وكـان أَجْـرؤُ هـذا الكَـوْنِ إِنْسـانا

١٤٠- هـو الظَّلُـومُ لِـنَفْسٍ كـان حَمَّلَهـا ... مـا بات مِنْـه طَـوالَ الـدَّهْرِ خَـوّانا[٤]

١٤١- إذا تكـونينَ يا نَفْسِـي مُقَصَّـرةً ... في جَنْـبِ رَبِّـكِ مَـنْ قـد فـاضَ تَحْنـانا

١٤٢- ولا تـؤدَّينَ إلاّ الفَـرْضَ يَلْحَقُـهُ ... بَعْـضُ النَّوافِـلِ كـي يُصْـلِحْن مِيـزانا

١٤٣- فـأيْنَ أَنْـتِ مـن المختـارِ أُسْـوتِنا ... إذا أطـالَ سُـجوداً ظُـنَّ قـد حـانا[٥]

١٤٤- وأيـن أُمَّتُـهُ مِنْـهُ وقـد دُعِيَـتْ ... لِسُـنَّةٍ ولِـوَحْيٍ فـاقَ بُرْهـانا

١٤٥- تُريـدُ أُمّتُـهُ يَشْـكُو لِبارئـهِ ... قـد كـان حَـظُّ كتـابِ اللهِ هِجْـرانا!

---

(١) لسان الضّاد : اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة .

(٢) طامحة : متطلّعة وطامعة .

(٣) الطُّعم : ما يُلْقى للسَّمكِ وغيره لاصطياده . والشّبّوط والصّيجان : نوعان من السَّمك .

(٤) طَوال : طول .

(٥) حان الرّجل : مات .

١٤٦- عُـودِي سَـرِيعاً إلى الـرَّحْمَنِ هَرْولَـةً ... واسْـتَمْطِرِي مِـنْ عَظِـيمِ الفَضْـلِ غُفْـرانا[١]

١٤٧- إن أنـتِ لَمْ تَرْجِعِـي لِلّهِ طائِعـةً ... أذاك مَعْنـاهُ قـد أَعْلَنْـتِ عِصْـيانا ؟

١٤٨- فَهَـلْ تُرِيـدينَ رَغْمـاً عَنْـكِ صـاغِرةً ... أن تَرْجِعِـي بِعَـذابٍ صُـبَّ أَطْنـانا

١٤٩- أمـا كَفـاكِ عـذابٌ أَنْـتِ سـابِحَةٌ ... في لُجِـهِ اليَـوْمَ سَـيْلاً فـاق كُثْبـانا[٢]

١٥٠- لَقَـدْ عِلْمْـتِ بِأنَّ اللهَ أكْرَمَنـا ... وقـد أجـابَ رسـولَ اللهِ إعْـلانا

١٥١- بِأنّ أُمَّتَـهُ لا تَخْتَفـي أَبَـداً ... بِفِعْـلِ جائِحَـةٍ ناراً وطوُفـانا[٣]

١٥٢- ولا بِفِعْـلِ عَـدُوٍّ كـافرٍ أَبَـداً ... إن كـان فِرْعـونَ أو إن كـان هامـانا[٤]

١٥٣- لكـنّ أخْطَـرَ مِـنْ هـاتَيْنِ ثالثـةٌ ... كَـمْ دَمَّـرَ الظُّلْـمُ إخـواناً وخِـلاّنا

١٥٤- اللهُ يُمْهِـلُ بَعْـضَ الظّـالمين عَسَـى ... يتـوبُ للقـاهِرِ الغَفّـارِ عَجْـلانا

١٥٥- مَـنْ ظَـنّ أنّ إلـهَ العَـرْشِ يُهْمِلُـهُ ... غـداةَ يُمْهِلُـهُ قـد نال خُسْـرانا

١٥٦- أَخْـذُ الْمُهَـيْمِنِ لِلْجَبّـارِ أمْهَلَـهُ ... أَخْـذٌ أليـمٌ شـديدٌ فـاق حُسْـبانا

١٥٧- اللهُ سَـلَّطَ بَعْـضَ الظّـالمين علـى ... بَعْـضٍ فبـادُوا وكُـلٌّ كـان شـيطانا

١٥٨- نَعُـوذُ باللهِ ربِ العَـرْشِ خالِقِنـا ... مِـنْ شَـرَّ كُـلَّ عَـدُوٍّ كـان فَتـآنا

١٥٩- لَـوْ أنَّ ربَّـكَ لَمْ يَـدْفَعْ بِرَحْمَتِـهِ ... لَهَـدَّمُوا مِـنْ بُيـوتِ اللهِ أَرْكـانا

١٦٠- أَيْـنَ النُّعـوتُ جُنـودُ اللهِ تَعْرِفُهـا ... إذ يَبْتَغُـونَ مِـنَ الـرّحمنِ رِضْـوانا

١٦١- هُـمُ الرَّحِيمُـونَ بالإِخْـوانِ بيـنَهُمُ ... مـاذا دَهَـى حِـينَ شَـنُّوا اليَـوْمَ عُـدْوانا

١٦٢- إنّ الأُخُـوَّةَ في الإسـلامِ غالِيَـةٌ ... قَـدْ وَرَّثَـتْ مَـرَّةً في الـدَّهْرِ إخْـوانا

١٦٣- تكـونُ روحُ أبي جَهْـلٍ وشِـيعَتِهِ ... قَـدْ زاحَمَـتْ سُـنَّةَ الهـادي وقـرآنا !

---

(١) الهَرْولة : سُرْعة بين العَدْوِ والمشي .

(٢) اللّجّ : مُعْظَم الماء حيث لا يُدْرَك قَعْرُه .

(٣) الجائحة : المصيبة تجتاح المال كُلّه .

(٤) فرعون : حاكم مصر الكافر على عهد موسى عليه السّلام ، وهامان : وزيره .

١٦٤- وكيف تَفْهَمُ حُمْقاً ليس مُخْتَلِفاً عن ذلك الحُمْقِ كُفْراً ثمّ كُفْرانا ؟

١٦٥- تكونُ غَيْمَةَ صَيْفٍ ثُمَّ أَتْبَعَها غَمٌّ على قَلْبِنا المجروحِ قد رانا[١]

١٦٦- اللهُ ربُّكَ بَرٌّ ليس يُعْجِزُهُ شيءٌ فَيَجْعَلَ ذاكَ القَفْرَ بُسْتانا

١٦٧- ونحن يُطْلَبُ مِنّا أن نُجاهِدَ في سَبِيلِهِ عَزَّ جَبّاراً وَرَحْمانا

١٦٨- إنّ السّماواتِ لا يُمْطِرْنَ فاكِهَةً ولا حُبُوباً ولا يَخْرُثْنَ فَدَّانا[٢]

١٦٩- ولا يُدِرْنَ مِنَ المِحْراثِ آلتَهُ ولا مصانِعَ صُلْبٍ صِرْنَ بُرْكانا

١٧٠- ولا يَقُمْنَ بِدَرْسٍ عَزَّ مَطْلَبُهُ وليسَ يِنْسِجْنَ أَصْوافاً وأَقْطانا

١٧١- وليس تَفْعَلُ شيئاً أنت تُسْأَلُه إن كنتَ حُرّاً سَلِيمَ القَلْبِ يَقْظانا

١٧٢- تُرِيدُ تَبْنِي لِدينِ الحقَّ قَلْعَتَهُ مِنَ المكارِمِ جَلَّ الحقُّ بُنْيانا

١٧٣- لِنَضْرِبِ الذِّكْرَ صَفْحاً عن أبي سَفَهٍ وروحِهِ ولِسانِ الحال عَنّانا[٣]

١٧٤- ولْنَتَّجِهْ بِفُؤادٍ مُخْبِتٍ وَجِلٍ إلى المليكِ الّذي بالفَضْلِ ربّانا[٤]

١٧٥- ولْتَجْرِ أَعْيُنُنا بالدَّمْعِ يَغْمُرُنا من فَرْطِ تَقْصِيرِنا في جَنْبِ مَوْلانا[٥]

١٧٦- ولْتَبْدُ تَوْبَتُنا في صِدْقِ أَوْبِتنا هي النَّصُوحُ لِمَنْ قد عَزَّ سُلْطانا[٦]

١٧٧- ولْنَعْبُدِ اللهَ رَبّاً لا شَرِيكَ لَهُ قد شَيَّدَ الكَعْبَةَ الغَرّاءَ أَرْكانا

١٧٨- لِرَبَّنا الخَلْقُ جَلَّ اللهُ خالِقُنا لِرَبَّنا الأَمْرُ أو إن شاءَ يَنْهانا

١٧٩- هو المليكُ الّذي ما شاء يَفْعَلُهُ لا يُسْأَلُ اللهُ عن شيءٍ إذا كانا

---

(١) أتبعها : تبعها ، ران : غَطّى وغَلَب .

(٢) الفدّان : مقدارٌ من الأرض الزّراعيّة تختلف مساحته في البلاد العربيّة . ومساحته في مصر ٤٢٠٠متر مربّع.

(٣) الصَّفح : جانب الوجه . وضرب الذّكر صفحاَ الإعراض عن الجاهلين والإقبال عليهم بجانب الوجه دليل التجاوز عنهم والعفو . والصّفح : ترك اللّوم . وهو أبلغ من العفو . لأنّ من يعفو قد يلوم ولا يصفح .

(٤) المخبت : الخاشع المتواضع .

(٥) الفرط : تجاوز الحدّ .

(٦) الأوبة إلى الله : الرّجوع عن الذّنب والتّوبة . والتّوبة النّصوح : الخالصة .

١٨٠- ونحن يَسْأَلُنا الرّحمنُ خالِقُنا ... عن كُلَّ شيءٍ أَتَيْنا جَلَّ أوهانا

١٨١- وسوف يَسْأَلُنا عن حالِ أُمَّتِنا ... ماذا فَعَلْنا لِكَيْ نَرْقَى بها شانا

١٨٢- نَقُولُ مَعْذِرةً للهِ خالِقِنا ... إنّا فَعَلْنا الّذي الرّحمنُ وصّانا[١]

١٨٣- إنّا عَبَدْناه لم نُشْرِك بِهِ أَحَداً ... وكان قائِدُنا وَحْياً وقُرآنا

١٨٤- وقد عُنِينا بِكُلَّ الشّيءِ يَنْفَعُنا ... في دِينِنا الحقَّ أو في حُسْنِ دُنْيانا

١٨٥- لقد عُنِينا بِقُرْآنٍ وحِكْمِتِهِ ... تلك الّتي لم تَزَلْ لِلَوحْيِ تِبْيانا[٢]

١٨٦- بِكُلَّ بيتٍ أَعانَ اللهُ نرفَعُهُ ... نُرَتَّلُ الوَحْيَ أَشْياخاً وصِبْيانا

١٨٧- وقد مَلَأْنا بِفَضْلِ اللهِ مَسْجِدَنا ... إذا عَلِمْنا بأنّ الوَقْتَ قد حانا

١٨٨- إنّ الصَّلاةَ الّتي الرّحمنُ وقّتها ... قَدْ عَلَّمتْ أنّ لِلْأَوْقاتِ أَثمانا

١٨٩- ونحن نُنْفِقُها في الشَّيْءِ يَنْفَعُنا ... وكُلَّ ما يَرْجُحُ الأوقاتَ مِيزانا

١٩٠- الكُلُّ يَمْضِي سريعاً نحو غايَتِهِ ... كي نَبْنِي المَجْدَ أَشْياخاً وفِتْيانا

١٩١- وقد عُنِينا بِعِلْمٍ باتَ يَنْفَعُنا ... في دِينِنا الحقَّ في الدُّنيا وأُخْرانا

١٩٢- ولَمْ نَعُدْ نَقْتَدِي بالسُّخْفِ ضَلَّلَنا ... تحت الشَّعاراتِ أضواءً وأَلْوانا

١٩٣- شِعارُنا الَّدينُ ربُّ العَرْشِ أكْمَلَهُ ... لِعَبْدِه وسَيَعْلُو بَعْدُ أَدْيانا

١٩٤- وقد بَذَلْنا لِنَشْرِ الدِّينِ طاقَتَنا ... اللهُ شَرَّفَنا واللهُ جازانا

١٩٥- وكان عَزَّ علينا أن نَرَى بَشَراً ... غداً يكونون للنَّيرانِ عِيدانا[٣]

١٩٦- عن ساعِدِ الجِدَّ شَمَّرْنا لِنُنْقِذَهُمْ ... وكُلُّ ما عَزَّ في إنقاذِهِمْ هانا

١٩٧- كذا الرّسولُ حبيبُ الله عَلَّمنا ... كي يَطْرُدَ النّاسُ شِرْكاً باتَ فتّانا

١٩٨- ويَعْبُدُوا اللهَ ربَّ العَرْشِ خالِقَهُمْ ... ويَطْرُدُوا مِنْ دُرُوبِ الحقَّ شَيْطانا

---

(١) معذرة : أي نقول ما يكون به عذرنا إلى ربّنا عزّ وجلّ وكيلا نتّهم بالتّقصير في جنب الله تعالى .

(٢) الحكمة : السّنّة النّبويّة المطهرة .

(٣) العيدان جمع عود : وهو كلّ خشبة . والمراد أنّ الكافرين هم حطب جهنّم يوم القيامة .

١٩٩-وكَـيْ تُـرَى رايَـةُ الإِسْـلامِ سـابِحَةً مـع الأَذانِ الّـذي قـد شَـدَّ آذانا

٢٠٠- إنّا اعْتَصَـمْنا بِحَبْـلِ اللهِ خالِقِنـا وكـانَ كُـلُّ عبِـادِ اللهِ إِخْـوانا

٢٠١- كُـلُّ المُـنَى مْـنَ جَمِيـلٍ نحـن نَفْعَلُـهُ أنّا نَنـالُ مِـنَ الـرّحمنِ رِضْـوانا

٢٠٢- كـانَ الْحَبِيـبُ رسـولُ اللهِ أُسْـوَتَنا لِكُـلَّ خَـيْرٍ هَـدَانا ثُمَّ مَنّـانا

٢٠٣- هـل نَحْـنُ إلاّ جُنـودُ اللهِ سَـخَّرنا كـي نَنْشُـرَ الـدَّينَ في أَنْحـاءِ دُنْيـانا

٢٠٤- وكـي نـؤذَّن في أَعْلَـى مآذِنِـهِ كـي يَسْـمَعَ الكَـونُ صَـوْتَ الحَـقَّ رَنّانا

٢٠٥- وكـي نرتَّـلَ في المِحْـرابِ مُعْجِـزَةً فاقَـتْ مَثِيلاتِهـا نَظْمـاً وتِبْيـانا

٢٠٦- وكـي يَهُـزَّ خَطِيـبُ الحَـقِّ مِنْبَـرَهُ يُرَتِّـلُ الآيَ تـرتيلاً وتَحْنـانا

٢٠٧- ويَنْشُـرَ العِطْـرَ في أَرْجـاءِ مَسْـجِدِنا بِسُـنَّةٍ شَـيَّدَتْ لِلْحَـقَّ بُنْيـانا

٢٠٨- سَـبِيلُنا لِرِضـا الـرّحمنِ طاعَتُـهُ إن كـان يأمُـرُنا أو كـان يَنْهـانا

٢٠٩- قـرآنُ خالِقِنـا ضَـوْءٌ لِسـالِكِنا وسُـنَّةُ المصـطفى نُـورٌ تَغَشّـانا

٢١٠- هما السَّبِيلُ الّـذي يُفْضِـي لِجَنَّتِـهِ إنْ خَـرَّ أعـداؤنا صُـمّاً وعُمْيـانا[1]

٢١١- قد أعرضُوا عن سَبِيلِ الخَيْرِ يُرْشِدُهُمْ إلى الجِنـانِ إذا يَلْقَـوْنَ رَحْمـانا

٢١٢- زَعِـيمُهُمُ نَحْـوَ نارِ الخُلْـدِ يَقْـدُمُهُمْ ذاك الـزَّعِيمُ بِحَـقٍّ كـان شَـيْطانا

٢١٣- ذاك الـزَّعِيمُ أبـو جَهْـلٍ وشِـيعَتُهُ مَـنْ أَصْـبَحُوا في عَمِيـقِ النّـارِ سُـكّانا

٢١٤- لِسـانُ حـالِ أبي جَهْـلٍ وشـيعَتِهِ مـاذا يقـول وقـد كـان الّـذي كـانا ؟

٢١٥- لِسـانُ حـالِ أبي جَهْـلٍ وشـيعَتِهِ يقـول في مَنْطِـقٍ قـد صَـحَّ بُرْهـانا

٢١٦- إن شِـئْتَ تَتْبَعُنـا في دَرْكِ شِـقْوَتنا ففـي جَهَـنَّمَ حَتْمـاً سـوف تَلْقـانا

٢١٧- يا حَسْـرْتا إنَّـني فَرَّطْـتُ مِـنْ سَـفَهِي في جانِـبِ اللهِ عَـزَّ اللهُ سُـلْطانا[2]

---

(١) يُفضى : يوصل .

(٢) الحسرة : شدّة الحزن والتّلهف .

٢١٨- فـاتَ الأَوانُ أبا جَهْـلٍ وهـل نَـدَمٌ يَـوْمَ القيامَـةِ يُقْصِـى عَنْـكَ نِـيرانا[١]

٢١٩- هـذا الرَّسُـولُ الحَبِيـبُ اللهُ أَرْسَـلَهُ كـان الرَّسـولُ لِـوَحْيِ اللهِ تِبْيـانا

٢٢٠- اللهُ أَنْـزَلَ قُـرْآناً وأَتْبَعَـهُ بِسُـنَّةٍ وطّـدَتْ لِلـدِّينِ أَرْكـانا [٢]

٢٢١- هُمـا قِـوامُ حَيـاةٍ جِـدَّ طَيَّبَـةٍ هُمـا سَـعادةُ أُولانا وأُخْـرانا[٣]

تمّت

صبيحة يوم الاثنين ١٤٢٥/٦/٣٠هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) أبا جهل : يا أبا جهل .

(٢) وطّدت : ثبّتت وقوّت .

(٣) قِوام كلّ شيءٍ : عِمادُه ونظِامُه .

القصيدة التّاسعة عشرة (٣٢٥) بيتاً
كِفايةُ الله تعالى المستهزئين وبدء إسلام الأنصار (من البسيط)

١- حَمَى الْمَلِيكُ رسولَ اللهِ مِنْ نَفَرٍ ... كانوا الحِراصَ على الإيصالِ للضَّرَر[١]

٢- مُناهُمُ أن يَمُوتَ المُصْطَفى فَهُمُ ... يَسْتَهْزِئُون بِدينِ اللهِ والسُّوَر

٣- أكان أحمدُ يَنْوِي أن يَمُوتَ أَسَى ... لِفَرْطِ إيغالِهِمْ في الكُفْرِ والبَطَر؟

٤- ربُّ الأَنامِ نَهاهُ أن يَمُوتَ أَسَى ... وها هُمُ الهازِئونَ اليوم في سَقَر

٥- هُمُ الخَبِيثُونَ رَدَّ اللهُ كَيْدَهُمُ ... قد كان كَيْدُهُمُ في مُنْتَهَى الخَطَر

٦- ربُّ الأَنامِ كَفَى المختارَ سَطْوَتَهُمُ ... وبَطْشَهُمْ بَخَبِيثِ القَوْلِ والنَّظَر

٧- تَجاوَزوا أكُلَّ ما الكُفّارُ إخْوَتُهُمْ ... أَتَوْه في كَيْدِهِمْ لِلْفَخْرِ مِنْ مُضَر

٨- سُبْحانَ ربَّكَ من قد رَدَّ كَيْدَهُمُ ... حَتّى غَدا كَيْدُهُمْ ضرباً من الأثَر

٩- ومَنْ أذابَهُمُ كالمِلْحِ في نَهَر ... حتّى غدا حالُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ العِبَر

١٠- ماذا دَهَى القومَ قد كانُوا أولى نَظَر ... وليس تَخْفَى عليهم صِحَّةُ الخَبَر

١١- أهكذا الحِقْدُ يُلْقِى المرءَ في عَمهٍ ... عَمَى البَصِيرةِ قد غَطَّى على البَصَر[٢]

١٢- كُلُّ القَذاةِ أتَوْها دونما وَرَعٍ ... كُلُّ الأَذاةِ أتَوْها دونما خَوَر[٣]

١٣- وليس أَعْجَبُ مِنْ مَنْعِ الرَّسولِ ضُحَى ... مِنْ أن يُصَلِّيَ جَنْبَ الحِجْرِ والحَجَر[٤]

١٤- اللهُ ربُّكَ بالمِرْصادِ زَلْزَلَهُمْ ... وزَجَّ شيطانَهُمْ في أَحْلَكِ الحُفَر

١٥- مِنْ فَرْطِ إيذائِهِمْ للمصطفى سَفَهاً ... قد كان يَدْعُو عليهم ساعَةَ السَّحَر

١٦- هُوَ الرَّءُوفُ إلهُ العَرْشِ أَرْسَلَهُ ... هو الرَّحيمُ بِكُلِّ البَدْوِ والحَضَر

---

(١) الحراص جمع حريص ، وهو الشّديد الرّغبة في الشّيء .

(٢) العمه : التّحيّر والتّردّد بحيث لا يدري أين يتوجّه وعمى البصيرة .

(٣) القذاة : ما يقع في العين والشّراب والماء من ترابٍ وغير ذلك . والأذاة : الأذى . والخَوَر : الضّعف والجبن.

(٤) الحِجْر : حجر إسماعيل عليه السّلام . والحَجَر : الحجر الأسود الّذي يبدأ عنده الطّواف وينتهي .

١٧- مِـنْ فَـرْطِ شِـقْوتِهِمْ قـد كـان حَظُّهُـمُ ذاك الـــدّعاءَ فكـــان القَصْـــفُ لِلْعُمُـــر

١٨- جَمـــيعُهُمْ قَـــدَّرَ المـــولَى مَنِيَّتَـــهُ بِعاجِـــلِ الـــدّاءِ أو بالصّـــارِمِ الـــذَّكَر

١٩- لم يَـــبْكِهِمْ أيُّ مـــاءٍ للسّـــماء هَمَـــى في هَيْئَـــةِ القَطْـــرِ أو في هَيْئَـــةِ المَطَـــر

٢٠- والأَرْضُ لم تَـــبْكِهِمْ مِـــنْ بُغْضِـــها لَهُـــمُ حـــتّى علـــى الأَرْضِ كـــانوا أَبْغَـــضَ البَشَـــر

٢١- وحينمـــا المـــرءُ مـــنهم حـــان مَهْلِكُـــهُ وتاقَ لِلتَّـــوْبِ لم يَهْنَـــأ بـــذا الظَّفَـــر[١]

٢٢- إلى الجَحِـــيمِ جَمِيـــعُ الهـــازِئين مَضَـــوْا ولَعْنَـــةِ اللهِ في الآصـــالِ والبُكَـــر[٢]

٢٣- رَبُّ الأَنامِ جميعـــاً كـــان أمْهَلَهُـــمْ كـــي يَرْعَـــوُوا عـــن طريـــق الشَّـــرَّ والشَّـــرَر

٢٤- إمهـــالُ ربَّ الـــوَرَى ظنُّـــوه مِـــنْ سَـــفَهٍ إِمْهـــالَهُمْ لِعَمَـــى في القَلْـــبِ مُسْـــتَتِر

٢٥- قـــد كـــان إمهـــالُهُمْ مِـــنْ فَضْـــلِ بارئِهِـــمْ عَلَـــيْهِمُ رَغْـــمَ سُـــوءِ الخُـــبْرِ والخَـــبَرِ[٣]

٢٦- حـــتّى إذا ســـاعةُ المِيعـــادِ قـــد أَزِفَـــتْ قـــد كـــان إهلاكُهُـــمْ حَتْمـــاً علـــى قَـــدَر[٤]

٢٧- كُـــلُّ الـــدُّرُوبِ إلى الخـــيراتِ أَوْصَـــدَها أولئـــك القَـــوْمُ بالأَسْـــيافِ والسُّـــمُر[٥]

٢٨- وبالأَكاذِيـــبِ يَرْمُـــونَ الرّســـولَ بِهـــا كالسَّـــحْرِ والشَّـــعْرِ والتَّشْـــوِيهِ لِلْـــوَطَر

٢٩- وبالـــدَّفاعِ عـــن الأَصـــنامِ يَعْبُـــدُها أولئـــك القـــومُ مِـــنْ صَـــخْرٍ ومِـــنْ شَـــجَر

٣٠- وبالأذَى أَلْحَقُـــوا بالـــرَّهْطِ مـــن نَفَـــرٍ قـــد وَحَّـــدُوا اللهَ ربَّ الشَّـــمْسِ والقَمَـــر

٣١- لَمْ يَرْقُبـــوُا اللهَ في ضَـــعْفٍ أَلَمّ بِهـــمْ لم يَرْقُبُـــوا اللهَ في أُنْثَـــى ولا ذَكَـــر

٣٢- كُـلُّ الّـذي سَـوَّل الشّـيطانُ قـد فَعَلُـوا وزيَّنَـــتْ أَنْفُـــسٌ مِـــنْ أَقْـــبَحِ الصُّـــوَر

٣٣- مِـنْ أَجْـلِ أن يَمْنَعُـوا المختـارَ مِـنْ مُضَـرٍ أن يَنْشُـــرَ الـــدِّين حَقّـــاً راقَ لِلْفِطَـــر[٦]

---

(١) مَهْلِك : هلاك . تاق : اشتاق . التَّوْب : التّوبة .

(٢) الآصال جمع أصيل بمعنى العَشِيّ . والبكر جمع بُكْرة بمعنى الغُدْوة .

(٣) الخُبْر : العلم عن تجربة .

(٤) أزفت : دنت وقربت : القَدَر بالفتح القضاء والّذي قدّره الله تعالى . وإذا وافق الشّيء الشيء قيل : جاء على قَدَر بالفتح .

(٥) أوصدها : أغلقها : والسُّمُر جمع الأسمر اسمٌ للرُّمْح .

(٦) الفِطَر جمع فطرة وهي الطّبيعة السّليمة لم تُشَبْ بِعَيْب .

٣٤- وذا الرّسولُ يَؤُمُّ النّاسَ كُلَّهُمُ ... في مَوْسِمِ الحَجَّ أو في أَشْهُرِ العُمَر[١]

٣٥- يدعوهُمُ كي يُوَفُّوا حَقَّ بارئِهِمْ ... ويَسْتَعِدُّوا لِيَوْمٍ قادِمٍ عَسِر[٢]

٣٦- ويَنْبِذُوا لّلاتَ والأَصْنامَ قاطِبَةً ... وكُلَّ شِرْكٍ لِأَهْلِ الشَّعْرِ والمَدَر[٣]

٣٧- ويَحْمِلوُه إذا عادُوا لِأَهْلِهِمُ ... ويَمْنَعُوه كَمَنْعِ المالِ والأُزُر[٤]

٣٨- ويَحْمِلوا رايةَ الإسلامِ عالِيَةً ... إلى جَمِيعِ بِلادِ اللهِ والبَشَر

٣٩- ويَبْذُلُوا الرُّوحَ في مَرْضاةِ ربِّهِمُ ... رَخِيصةً دون تَأْخِيرٍ ولا كَدَرَ

٤٠- وَيَبْذُلُوا أَنْفَسَ الأَمْوالِ راضِيةً ... بِبَذْلِها النَّفْسُ من كَنْزٍ ومن ثَمَر[٥]

٤١- فإن هُمُ قد وَفَوْا لِلّهِ بارئِهِمْ ... تكونُ جَنّةُ خُلْدٍ خَيْرَ مُنْتَظِر

٤٢- أمّا إذا أَعْرَضُوا فالنّارُ موعِدُهُمْ ... شَرارُها كَعَظِيمِ النُّوقِ والحُمُر[٦]

٤٣- تَفاوَتَ النّاسُ في أنواعِ ردَّهِمُ ... ما بين حُسْنٍ وقُبْحٍ جاءَ مِنْ أُخَر[٧]

٤٤- جَمِيعُهُمْ لَمْ يَشَأْ ربِّي هِدايَتَهُ ... لِكَيْ ينالَ وِسامَ السَّبْقِ والظَّفَر

٤٥- أمّا أضَلُّ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... الْمُسْتَهْزِئُون فَهُمْ في شَرَّ مُنْحَدَر

٤٦- إن أَبْرَمَ المصطفى حَبْلاً لِبارئِهِ ... هم يَنْقُضون لِحَبْلِ اللهِ ذي المِرَر[٨]

٤٧- وكُلُّ ما سَطَّرَ المختارُ مِنْ حَسَنٍ ... مَحَوْهُ بالهُزْءِ بالتّكذيبِ بالأَشَر[٩]

---

(١) يؤمّ : يقصد ويريد . العُمَر جمع عُمْرة . وهي نُسُك كالحجّ ليس له وقتٌ معيّن ولا وقوفٌ بعرفة .

(٢) ليوم عِسر : ليوم القيامة العسر والصّعب .

(٣) أهل الشّعْر : البدو وبيوتهم من الشَّعْر . وأهلِ المدر بمعنى الطّين واللّبِن هم الحضر . و بيوتهم من ذلك الطّين واللّبن .

(٤) الأزر جمع إزار وهو ثوبٌ يحيط بالنّصف الأسفل من البدن . والأزر هنا كناية عن النّساء والعِرْض .

(٥) كنز : مال مدّخر .

(٦) النّوق جمع ناقة وهي الأنثى من الإبل . والحُمُر جمع حمار ومنها الأهليّ ومنها الوحشيّ .

(٧) من أخر : من جماعاتٍ أخر . ومفرد أخر أخرى مؤنث الآخر .

(٨) المرر جمع مِرّة بمعنى إحكام الفتل .

(٩)الأشر : البطر والاستكبار .

٤٨- وإن دَعـا المصـطفى جَمْعـاً لِبارئِـهِ ... سَـعَوْا إليـه لِيَبْقَـى دائِـمَ الحَـذَرِ !
٤٩- ولـيس ثَمَّـةَ أَشْـقَى مِـنْ أبي لَهَـبٍ ... غـداةَ يَمْحُـو جَميـلَ القَـوْلِ والأَثَـر
٥٠- إذا دَعـا المصـطفى لِلّهِ بارئِـهِ ... دَعـا إلى الشَّـرْكِ والتَّكـذيبِ للسُّـوَر
٥١- وحَـذَّرَ النّـاسَ مِـنْ شـخصٍ مُهِمَّتُـهُ ... تَمْزِيـقُ كُـلِّ صُـفُوفِ السّـادةِ الغُـرَر[1]
٥٢- وَيَسْأَلُ القومُ ما اسمُ الشَّخْصِ غايَتُهُ ... تَكْـذِيبُ داعِيـةِ التَّوْحيـدِ مـن مُضَـر
٥٣- ويَنْـزِلُ العِلْـمُ باسـم الشَّـخْصِ صـاعِقَةً ... علـى رُءُوسِ أولى الأَحْـلامِ والفِكَـر
٥٤- عَـمُّ العَظـيمِ رسـولِ الله يَتْبَعُـهُ ... إن كـان في مَحْفِـلٍ أو كـان في نَفَـر
٥٥- والقَصْـدُ تكذيبُـهُ في القَـوْلِ يُرْسِـلُهُ ... بِفِيـهِ أَبْهَـى لـدى الإِمْعـانِ مـن دُرَر
٥٦- ويَنْقَضِـي عَجَـبُ الإنسـانِ حـين يَـرَى ... سَـعْيَ الشَّـقِيَّ لِنـارِ الخُلْـدِ بالقَـدَر
٥٧- تَبَّـتْ يـداهُ إلـهُ العَـرْشِ مُنْزِلُهـا ... في مُحْكَـمِ الـذِّكرِ فَهْـوَ الـدَّهْرَ في سُـعُر[2]
٥٨- قـد زادهُ اللهُ في مَسْـعاهُ فَـرْطَ عَمَـى ... فكـان أَسْـعَى عِبـادِ اللهِ لِلضَّـرَر
٥٩- مَصِـيرهُ النّـارُ يَصْـلاها فواجِبُـهُ ... أن يَسْـتَعِدَّ لهـا بالحَـوْضِ في القَـذَر
٦٠- الهـازِئون زعـيمُهُمُ أبـو لَهَـبٍ ... بِـئْسَ الـزّعيمُ يَقُـودُ الصَّـحْبَ لِلْغَـرَر[3]
٦١- كفّـارُ مكّـةَ كـان الشَّـرُّ دَيْـدَنَهُمْ ... والشَّـرْكُ في دَمِهِـمْ كالنّـارِ في العُشَـرِ[4]
٦٢- لَمْ يَمْنَحُـوا خَيْـرَ خَلْـقِ اللهِ راحَتَـهُ ... كـيَ يَـدْعُوَ النّـاسَ جَنْـبَ البَيْـتِ ذي السُّـتُر
٦٣- مَضَـى الرّسـولُ إلى الأَفْـواجِ قـد وَفَـدَتْ ... في مَوْسِـمِ الحَـجَّ والأَسْـواقِ في مُضَـر

(١) الغُرر جمع غُرّة . والغُرّة من القوم شريفهم وسيّدهم .
(٢) تبّت يداه : خَسِرتْ يداه . وثمّة إشارةٌ إلى سورة المسد . في سعر : في جنون .
(٣) الصَّحْب جمع صاحب وهو المرافق . والغرر : الخَطَر .
(٤) العُشَر : شجر لم يقتدح النّاس في أجود منه .

٦٤- مُـــرادُ بَعْضِـــهِمُ حَـــجٌّ وبَعْضُـــهُمُ ... مُـــرادُه نَيْـــلُ حُسْـــنِ الـــذِّكرِ والخَـــبَرِ

٦٥- وبَعْضُـــهُمْ هَمُّـــهُ مـــالٌ يُحَصِّـــلُهُ ... مِـــنَ التِّجـــارةِ في الأَغْنـــامِ والبَقَـــرِ

٦٦- وفي البِضـاعَةِ مِـنْ خَمْـرٍ ومـن عَسَـلٍ ... ومِـنْ جُلُـودٍ ومِـنْ صُـوفٍ ومِـنْ وَبَـرِ

٦٧- ومِـــنْ دِلاءٍ وأَخْشـــابٍ وأَرْشِـــيَةٍ ... ومِـــنْ خِيـــامٍ وأَقْتـــابٍ ومـــن شَـــعَرِ[١]

٦٨- وبَعْضُـهُمُ يَـدَّعِي قـد جِئْـتُ مُعْتَمِـراً ... وَهَمُّـــهُ الحِلْـــفُ في أَثْـــوابِ مُعْتَمِـــرِ[٢]

٦٩- هـذا الّـذي زَعَمَـتْ أوسٌ وقـد بَعَثَـتْ ... مِـــنْ أرضِ يَثْـــرِبَ وفـــداً ثاقِـــبَ النَّظَـــرِ

٧٠-في ظـاهِرِ الأَمْـرِ جـاء الوَفْـدُ مُعْتَمِـراً ... في باطِـنِ الأَمْـرِ يَبْغـي الحِلْـفَ مِـنْ نَفَـرِ

٧١- بنـــو عُمـــومَتِهِمْ مـــن خَـــزْرَجٍ بَطَشُـــوا ... بِجـــارِهِم وأبانُـــوا جُـــرْأَةَ النَّمِـــرِ

٧٢- لَمْ يَنْفَـــعِ القَـــوْمَ أنَّ الأُمَّ واحـــدةٌ ... أبنـــاءُ قَيْلَـــةَ أَهْـــلُ البِـــيضِ والسُّـــمُرِ[٣]

٧٣- هُمُ الرِّجالُ إذا ما الحَرْبُ قد كَشَفَتْ ... عـــن ســـاقِها وأبانَـــتْ أَقْـــبَحَ العَـــوَرِ

٧٤- وإنّ قِـــلَّةَ أَوْسٍ غَيْـــرُ ذِلَّـــتِهِمْ ... هُـــمُ الأَعِـــزَّةُ بِالبَتّـــارِ والـــوَتَرِ

٧٥- وبالخُيُـــولِ عليهـــا مَعْشَـــرٌ أُنُـــفٌ ... قـد عَوَّدُوهـا اقْتِحـامَ المـوتِ في زُمَـرِ[٤]

٧٦- وبالرِّمـــاحِ تَـــرَى طِفْـــلاً يـــداعِبُها ... كمـــا يـــداعبُ حـــاوٍ آفَـــةَ الخَمَـــرِ[٥]

٧٧- وبالسَّـــهامِ إذا حَنانـــةٌ رَجَمَـــتْ ... حَسِـــبْتَها تُرْسِـــلُ الشُّـــؤْبوبَ مِـــنْ مَطَـــرِ[٦]

٧٨- لا يُخْطِـيءُ الصَّـيِّبُ البَيـداءَ يَقْصِـدُها ... ولا تَطِـيشُ سِـهامُ الأَوْسِ في الخَطَـرِ[٧]

---

(١) الأقتاب جمع قَتَب وهو الرّحل الصّغير على قدر سنام البعير .

(٢) الحِلْف : المعاهدة على التّعاضد والتّساعد والاتّفاق .

(٣) قَيْلَة : جدّة الأوس والخزرج .

(٤) أنف : شديدو الأنفة والعزّة والحميّة والمفرد أنوف .

(٥) الخَمَر : الشّجر الكثيف الّذي يستر ويواري .

(٦) الحنّانة : القوس الّتي تحنّ حينما يُرْمَى بها .

(٧) الصّيّب : المطر الشّديد . البيداء الفلاة .

٧٩- وإنّ يـوم بُعـاثٍ خَيْـرُ مـا فَخَـرَتْ ... أَوْسٌ بـــه بـــين أيّامٍ لهـــا أُخَـــر[١]

٨٠- وإن يكـن سـادةٌ لِـلْأَوْسِ قـد قُتِلُـوا ... في ذلـك اليـومِ مِثْـلَ الأَنْجُـمِ الزُّهُـر

٨١- فـإنّ أَكْفـاءَهُمْ في الخـزرج امْتَثَلُـوا ... في ذلـك اليـومِ أَمْـرَ الصّـارِمِ الـذَّكَر

٨٢- كـلا الفـريقين زار المـوتُ سـاحَتَهُ ... في مَعْشَـرٍ يُحْسِـنونَ القَتْـلَ في صُـوَر

٨٣- كـلا الفـريقين منـه الجَمْـرةُ انْطفـأَتْ ... قَبـولُ مَبْـدَأِ حِلْـفٍ زَلَّـةُ العُمُـر[٢]

٨٤- هـي العَـداوَةُ قـد أَلْقَـتْ بِكَلْكَلِهـا ... في سـاحِهِمْ مِـنْ قـديمِ الـدَّهْرِ والعُصُـر[٣]

٨٥- وإن عَجِبْـتَ فَحَقّـاً مـن ثَعـالِبِهِمْ ... هُـمُ اليهـودُ حليفُـو البِـيضِ والصُّـفُر[٤]

٨٦- هـم يَلْعَبُـون علـى الحيَّـيْن قَصْـدُهُمُ ... حمايـةُ الأَهْـلِ والأَمْـوالِ والشَّـجَر

٨٧- ولـيس يَعْنِـيهِمُ مِـنْ بَعْـدُ لـو خَرِبَـتْ ... - بـدُونِ خَيْبَـرَ- دُورُ البَـدْوِ والحَضَـر[٥]

٨٨- فَلْتَـذْهَبِ الأوسُ إن شـاءت لِمَشَـعْرِها ... كـذاك خَزْرَجُهـا مـن ضِـمْنِ مُعْتَمِـر

٨٩- ولـيس يَعْنِـيهِمُ صِـدْقٌ لِمَقْصِـدِهم ... يكفـيهِمُ القـولُ يا ذِي العِلَّـةُ انْـدَحِرى[٦]

٩٠- كـلا الفـريقين في المَيْـدْانِ نَمْنَحُـهُ ... أَعْـتَى السَّـلاح لِقَتْـلِ الفـارِسِ الخَطِـر

٩١- لعـلّ يَثْـرِبَ تَخْلُـو مـن فوارِسِـها ... والجـوُّ يَخْلُـصُ للتَّـوْراةِ والزُّبُـر[٧]

٩٢- لَمْ يَـنْجَحِ الأَوْسُ في تَحْقِيـقِ غـايَتِهِمْ ... لـدى رِجـالِ قُـرَيَشِ المـالِ والسَّـفَر

---

(١) يوم بعاث : آخر أيّام الأوس والخزرج في الجاهليّة . وقد انتصر فيه الأوس . وكان ذلك قبل الهجرة بسنوات.
وبعاث : موضع بالقرب من المدينة المنوّرة . انظر – مثلاً – الكامل في التاريخ ٦٨٠/٢ يوم بعاث .

(٢) الجمرة : اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل . فإذا حالفت غيرها قيل انطفأت جمرتها .

(٣) الكَلْكَل : الصَّدر . العُصُر : العُصور .

(٤) الثّعالب : لقب اليهود لدى الأوس والخزرج . البيض : الدّراهم الفضّيّة . والصُّفر : الدّنانير الذّهبيّة .

(٥) بدون خيبر : باستثناء خيبر .

(٦) المقصِد : موضع القصد .

(٧) الزّبر : الكتب الدّينية جمع زَبور بمعنى الكتاب .

٩٣- مـــاذا يُفيـــدُهُمُ عَقْـــدٌ لِحِلْفِهِـــمُ ... سِـوَى عَـداوةِ قَـوْمٍ في الـوَغَى صُـبُرُ[١]

٩٤- ألـيس يَكْفِـيهِمُ في عُقْـرِ دارِهِـمُ ... حَـرْبٌ تُخـاضُ بـلا نابٍ ولا ظُفُـر[٢]

٩٥- كُـلُّ الطّلائِـعِ تُـوحِي شَـرَّ مَخْبَرِهـا ... إنّ الطّلائِـعَ تَحْـوِي أَفْـدَحَ الضَّـرَر

٩٦- إن كانـت الحـربُ حَـتَّى اليـومِ قائِمـةً ... علـى التَّراشُـقِ بالأَلْفـاظِ والحَجَـر

٩٧- فعـن قَرِيـبٍ رحاهـا سـوف تَطْحَـنُهُمْ ... وسـوف تُشْـعِلُ شَـرّاً بادِيَ الشَّـرَر

٩٨- أَبَى الرّسـولُ قَبُـولَ المُلْـكِ قـد عَرَضُـوا ... وقـد أَصَـرَّ علـى تَوْحِيـدِ مُقْتَـدِر

٩٩- وبينمـا كـان وفـدُ الأَوْسِ مُنْهَمِكـاً ... يُقَـلِّبُ الحـالَ بـين الـوِرْدِ والصَّـدَر[٣]

١٠٠- إذا الرّسـولُ حبيـبُ الله يَقْصِـدُهم ... في قَلْـبِ مَجْلِسِـهِمْ والقـومُ في فِكَـر

١٠١- أَلْقَـى السّـلامَ علـيهم ثمّ فـاتَحَهُمْ ... في شَـأْنِهِمْ بِكَـلامٍ طَيِّـبٍ عَطِـر

١٠٢- قـالوا لـه نحـن وَفْـدُ الأَوْسِ قـال لهـم ... إنّي الرَّسُـولُ مـن الـرّحمنِ لِلْبَشَـر

١٠٣- اللهُ ربِّيَ بالإسـلامِ أَرْسَـلَني ... أنا البَشِـيرُ وإنّي خـاتَمُ النُّـذُر[٤]

١٠٤- أَدْعُـو الأَنامَ إلى تَوْحِيـدِ بارِئِهِـمْ ... ونَبْـذِ آلهـةٍ تَـدْعُو إلى سَـقَر

١٠٥- أَدْعـوهُمُ لِجِنـانِ الخُلْـدِ قـد حَسُـنَتْ ... داراً وطابَـتْ بِطِيـبِ المـاءِ والثَّمَـر

١٠٦- ومِـنْ جَحـيمٍ لَظَـى إنّي أحـذِّرُهُمْ ... أَكْـرِمْ بِكُـلِّ تَقِـيٍّ مُخْبِـتٍ حَـذِر

١٠٧- واللهُ أَكْـرَمَنِي بالـوَحْيِ أَنْزَلَـهُ ... عَلَـيَّ أَتْلُـوهُ في الآصـالِ والبُكَـر

١٠٨- في ظُلْمَـةِ اللّيـلِ أدعـو الله مبـتهلاً ... أرتَّـلُ الآيَ ضَـمَّتْ أَعْظَـمَ العِـبَر

١٠٩- هـذا الكتـابُ العزيـزُ اللهُ أنزلَـهُ ... يَهْـدِي إلى الرُّشْـدِ والإيمـانِ بالقَـدَر

١١٠- يَهْـدِي إلى جنّـةِ الفِـرْدَوْسِ يَـدْخُلُها ... مـن سـارَ في هَدْيِـهِ يَقْـتَصُّ لِلأَثَـر

---

(١) صُبُر : شديدو الصَّبر في ميدان القتال . والمفرد صَبور .

(٢) في عُقْر دارهم : في وَسَط دارهم .

(٣) الورد والصَّدَر : الدّخول في الأمر والخروج منه .

(٤) النُّذر : جمع نذير .

١١١- اللهُ بَشَّـرَ مـن قـد عـاشَ مُمْتَـثِلاً لِهَدْيِـهِ بِجَمِيـلِ الفِعْـلِ في العُمُـر

١١٢- وبالحيـاةِ يعـيشُ المَـرْءُ طيِّبَـةً في هـذه الـدّارِ يَسْـقِى باسِـقَ الشّـجر

١١٣- حـتّى إذا المـرءُ قـد حانَـت مَنِيَّتُـهُ كـان الملائـكُ صَـفّاً خَيْـرَ مُنْتَظِـر

١١٤- هِـيَ الجِنـانُ بِفَضْـلِ اللهِ يَـدْخُلُها لِحُسْـنِ صَـبْرٍ وإنّ الصَّـبْرَ كالصَّـبِر

١١٥- هـو السّـلامُ إلـهُ العَـرْشِ خَـصَّ بِـهِ في جَنَّـةِ الخُلْـدِ عَبْـداً جَـدَّ في الطُّهُـر

١١٦- خـافَ القِيـامَ أمـامَ اللهِ خالِقِـهِ لـذا نَهَـى الـنّفسَ أن تَـنْحَطَّ لِلْوَضَـر[1]

١١٧- أمّـا الّـذي آثَـرَ الـدُّنْيا وبَهْجَتَهـا وخـاضَ في الإثْمِ لم يَتْـرُكْ ولم يَـذَر

١١٨- فـأمْرُهُ لِمَليـكٍ جِـدَّ مقتـدِر إن شـاء سـامَحَ أو ألقـاه في سَـقَر

١١٩- ذاك الّـذي قـال خَيْـرُ الخَلْـقِ قاطِبَـةً في مَجْلِـسِ الأوسِ ذِكْـراهُ لِمُعْتَـبِر[2]

١٢٠- لَمْ يَقْبَـلِ الأوسُ ذِكْـرى المصـطفى لَهُـمُ لَمْ يَـرْفُضِ الأَوْسُ كُـلَّ الـرَّفْضِ للـدُّرَر

١٢١- كـانوا كَمَـنْ ضـاقَتِ الـدُّنْيا بِنـاظِرِه فلـم يكـن عِنْـدَهُ وَفْـرٌ مِـنَ النَّظَـر

١٢٢- قد ضَيَّعَ الأَوْسُ هذا الفَضْلَ جاءَهُمُ في عُقْـرِ دارِهِـمُ مِـنْ أَفْضَـلِ البَشَـر

١٢٣- بالأَمْـسِ لم يُـدرِكُوا حِلْفـاً إلَيْـهِ أَتَـوْا واليَـوْمَ ضـاعَتْ علـيهم فُرْصَـةُ العُمُـر

١٢٤- عـادُوا لِقَـوْمِهِمُ يبكُـونَ حَظَّهُـمُ خُفّـا حُنَـيْنٍ نَصِـيبُ القَـومِ في السَّـفَر

١٢٥- وقـد يكـونُ صـحيحاً مـا رَوَى نَفَـرٌ بأنّ أَصْـغَرَهُمُ في السَّـنِّ ذو بَصَـر[3]

١٢٦- وأنَّـهُ وَحَّـدَ الـرّحمنَ خالِقَـهُ وأنَّـهُ صَـدَّق المختـارَ مِـنْ مُضَـر

١٢٧- وأنَّـهُ وَقْـتَ أن حانَـتْ مَنِيّتُـهُ قـد وَحَّـدَ اللهَ جَهْـراً دونمـا حَـذَرِ

١٢٨- فـإنّ أَصْـغَرَهُمْ في السَّـنّ مُـذْ ذَهَبَـتْ حياتُـهُ قـد غـدا مِـنْ جُمْلَـةِ الخَـبَر

---

(١) الوضر : الوَسَخ .

(٢) ذكراه : موعظته . وهو خبر المبتدأ ذاك .

(٣) أصغرهم في السَّنّ : إياس بن معاذ .

١٢٩- بِمَوْتِـهِ انقطعـتْ حَقّـاً عَلائِقُهُـمْ ... بِكُـلِّ مـا كـان لِلْمُخْتـارِ مِـنْ أَثَـر[١]

١٣٠- إذا يكونـونَ قـد وَلَّـوْا وجـوهَهُمُ ... حِيـالَ يَثْـرِبَ فَـوْقَ النُّـوقِ كالسُّـرُر

١٣١- فـإنّ أَحْمَـدَ وَلَّى كُـلَّ هِمَّتِـهِ ... إلى وُجـوهِ أُناسٍ مِـنْ أُولى الخَطَـر

١٣٢- يَـدْعُوهُمُ لِكِتـابِ اللهِ يَقْـرَؤُهُ ... عَلَـيْهِمُ لِينَـالُوا أبلَـغَ العِـبَر

١٣٣- يُوَحَّـدونَ إلـهَ العَـرْشِ خـالِقَهُمْ ... ويَنْبِـذون صُـنوفَ الشَّـرْكِ والضَّـرَر

١٣٤- ويَتْبَعُـونَ رسـولَ اللهِ قائِـدَهُمْ ... إلى جِنـانِ نَعِـيمٍ مُنْتَهَـى الـوطَر

١٣٥- ويَحْمِلـونَ لِـواءَ الـدِّينِ في بَلَـدٍ ... يَعْنِـيهِمُ ووراءَ البحـرِ والجُـزُر

١٣٦- ويُعْرِضـون عـن الـدُّنْيا وفِتنَتِهـا ... فـإنّ فِتْنَتَهـا مِـنْ جُمْلَـةِ الكَـدَر

١٣٧- زادُ المسـافِرِ في الـدُّنْيا لِغايَتِـهِ ... ذِكْـرُ المليـكِ وتَقْـوَى اللهِ في السَّـفَر

١٣٨- هِـي السَّـعادَةُ في الـدُّنْيا لِمَـنْ مُلِئَـتْ ... مِنْـهُ الجَـوَانِحُ بالأشْـجانِ في السَّـحَر

١٣٩- يَسْـتَغْفِرُ اللهَ ربَّ العَـرْشِ خالِقَـهُ ... مَـنْ صـاغَ خِلْقَتَـهُ في أَجْمَـلِ الصُّـوَر

١٤٠- مـا أَعْظَـمَ الـدَّرْسَ ألْقـاهُ ابـنُ آمنـةٍ ... علـى الوُفُـودِ أتاهـا يانِـعُ الثَّمَـر

١٤١- أَلْقَـى عليهـا بإذنِ اللهِ سِلْسِـلَةً ... مِـنَ المـواعِظِ تُجْـرِى الـدَّمْعَ كـالمطَر

١٤٢- اللهُ ربُّـكَ أَجْـرَى المـاءَ مِـنْ حَجَـر ... والطَّـوْدَ قـد شـقّهُ عـن دافِـقِ النَّهَـر[٢]

١٤٣- أمّـا قُلُـوبُ وُفُـودٍ في العَمَـى رَتَعَـتْ ... فإنَّهـا قـد بَـدَتْ أَقْسَـى مِـنَ الحَجَـر

١٤٤- وظَـلَّ أَحْمَـدُ يـدعوها لِبارِئِـهِ ... وظَـلَّ جَمْعُهُـمُ سِـرْباً مـن الحُمُـر

١٤٥- قـد طارَدَتْـهُ لُيـوثُ الغـابِ فاتكـةً ... بِجَمْعِـهِ بِحديـدِ النّـابِ والظُّفُـر

١٤٦- الأمـرُ للهِ جـلَّ اللهُ خالِقُنـا ... تَجْـرِي الأمـورُ الّـتي يَقْضِـى علـى قَـدَر

١٤٧- هـذى قريشٌ وما ازدادَتْ سِوى سَفَهٍ ... أمّـا الوفـودُ فـذاتُ الموقِـفِ العَسِـر

١٤٨- وذي حَـلاوَةُ ديـنِ اللهِ قـد رَسَـخَتْ ... في قَلْـبِ مـن نال مـنهم أَفْـدَحَ الضَّـرَر

---

(١) علائقهم : روابطهم ، والمفرد عَلاقة ، بفتح العين .

(٢) الطّود : الجبل العظيم .

١٤٩- حـتّى ولـو كـان في الرَّمْضـاءِ تَعْرِيَـةً ... بِـبَطْنِ مكّـةَ تَحْـتَ الشَّـمْسِ في الظُّهُـر[١]

١٥٠- ولا يَضِـيرُ إذا مـا صَـخْرَةٌ وُضِـعَتْ ... بِصَـدْرِهِ رَغْـمَ فَـرْطِ الضَّـعْفِ والكِـبَرِ

١٥١- ولـيس يُسْـمَعُ مِنْـهُ غَيْـرُ واحِـدةٍ ... تزيـد في وزنهـا ثِقْـلاً علـى أُخَـر[٢]

١٥٢- معبـوديَ اللهُ ربّي واحـدٌ أَحَـدٌ ... بَـرٌّ رءوفٌ رحـيمٌ بارئُ الصُّـوَر

١٥٣- مِـنْ هـؤلاءِ الّـذي عَـيْنٌ لَـهُ عَمِيَـتْ ... مِـنْ فَـرْطِ إيذائِـهِ بالرَّكْـلِ كـالكُوَر

١٥٤- وبَعْضُـهُمْ مـاتَ مِـنْ ضَـرْبٍ بِـلاَ كَلَـلٍ ... بِكُـلَّ أَخْشـابِ نَخْـلِ الـدَّوْمِ والسَّـمُر[٣]

١٥٥- وبالحديـدِ عليـه النّـارُ قـد سُـعِرَتْ ... حـتّى غـدا مِثْـلَ جَمْـرٍ حـارِقِ الشَّـعَر

١٥٦- لَمْ يَـرْحَمِ القـومُ مِـنْ أُنْثَـى ولا ذَكَـرِ ... ولا كبـيرٍ وطِفْـلٍ مـاتَ مِـنْ ذُعُـر[٤]

١٥٧- جمـيعُهُمْ أَكْبَـرُ الأَعْـداءِ قاطِبَـةً ... لأنّهُـمْ وحَّـدوهُ رافِـعَ الضَّـرَر

١٥٨- وهـل عَلِمْـتَ بأنّ القـومَ قـد طَـرَدوا ... صِـدِّيقَ أمّـةِ رَحْمَتِـهِ إلى البَشَـرَ !

١٥٩-ذاك العظيمُ الّـذي الـدُّنْيا بـه افْتَخَرَتْ ... رفيـقُ رَحْمَتِـهِ في الحِـلِّ والسَّـفَر

١٦٠- وإنّمـا دَخَـلَ الصَّـدِّيقُ بَلْدَتَـهُ ... لمّـا حَمَـاهُ رئـيسٌ مِـنْ ذوي الخَطَـر[٥]

١٦١-أمّـا الصَّـلاةُ ففـي أَعْمـاقِ مَنْزِلِـهِ ... ولـيس يُسْـمَعُ صـوتٌ خـارِجَ الجُـدُر[٦]

١٦٢- بـل لـيس يُسْـمَعُ شـيءٌ مِـنْ تِلاوتِـهِ ... في سـاحَةِ الـدّارِ إنّ النّـار مِـنْ شَـرَرَ!

١٦٣- هـذا مِثـالٌ مـن الظُّلْـمِ الّـذي ارْتَكَبُـوا ... مـع العَظِـيمِ حَبيـبِ الفَخْـرِ مِـنْ مُضَـر

١٦٤- وهـل تَعِـفُّ عـن الإيـذاء شِـرْذِمَةٌ ... بِطَبْعِهـا الهُـزْءُ بالمختـارِ والسُّـوَر ؟[٧]

---

(١) الرّمضاء : الرّمل الشّديد الحرارة ، لو وضعت عليه قطعة لحمٍ لنضجت . التّعرية : نزع الثّوب عن الجسد .

(٢) واحدة : كلمة واحدة هي شهادة التّوحيد .

(٣) خشب الدوم أصلب من خشب نخيل البلح . والسَّمُر : ضربٌ من الشّجر .

(٤) الذّعر : الفزع .

(٥) هو ابن الدُّغُنَّة سيّد قبيلةٍ عظيمةٍ اسمها القارَة .

(٦) الجدر : جمع جدار .

(٧) الشّرذمة : الجماعة القليلة من النّاس .

١٦٥- إذا يكــون كِبــارُ القــومِ حَظُّهُــمُ ... ذاك المصــيرُ مــن التَّشْــريدِ والضَّــرَر

١٦٦-فكيف حَالُ ضِعافِ القَوْمِ ليس لَهُمْ ... سِــوَى التَّضَــرُّعِ للــرَّحْمنَ والسَّــهَرَ

١٦٧- ولــيس يُقْنِــعُ أعــداءً لَهُــمْ بَطِــروا ... إلاّ ارْتِــدادٌ عَــنِ الإســلامِ لِلْكُفْــر

١٦٨- وذا الرّســولُ حَبِيــبُ اللهِ يَسْــأَلُهُمْ ... جَميــلَ صَــبْرٍ علــى مــا كــان مِــنْ عُسُــر

١٦٩- فلــيس يَغْلِــبُ عُسْــرٌ واحــدٌ أبــدا ... يُسْــرَيْنِ خطَّهُمــا الــرّحمنُ في الزُّبُــر

١٧٠- وإنّ مَوْعِــدَهُمْ مــن بعــد مَــوْتِهِمُ ... جِنــانُ خُلْــدٍ بِــلا مَــنٍّ ولا كَــدَر

١٧١- مــع الرّســولِ حبيــبِ الله يَقْــدُمُهُمْ ... يَــوْمَ الشَّــفاعِة نحــو الحَــوْضِ والنَّهَــر

١٧٢- يا " آلَ ياسِــرَ " صــبراً إنّ مَوْعِــدكُمْ ... جنــانُ خُلْــدٍ بِــرَغْمِ الكــافِرِ الأَشِــر

١٧٣- وأنتمــا والــديْ عمّــارٍ انتظــرا ... أَجْــرَ الشَّــهيدِ لِمَوْتِكُمــا مــع الزُّمَــر[١]

١٧٤- ولا يَضِــيرُكَ ياعمّــارُ دَفْعَهُــمُ ... بِكِلْمــةِ الكُفْــرِ قِيلَــتْ مــن فَــمِ الطُّهُــر

١٧٥- المصطفى شــاهدٌ بالصَّــدْق يَشْــمَلُكُمْ ... مِــنْ أَخْمَــصِ الرَّجِــلْ حَــتّى مَفْــرِقِ الشَّــعَر[٢]

١٧٦- يا " آلَ ياسِــرَ " بَيَّنْــتُمْ لِأُمَّــتِكُمْ ... طَرِيــقَ صِــدْقٍ إلى التَّوْفيــقِ والظَّفَــر

١٧٧- لــيس الطَّرِيــقُ إلى الجنّــاتِ يَفْرِشُــهُ ... وَرْدُ الحديقــةِ نَسْــقِيها مِــنَ المطَــرَ

١٧٨- إنّ الطَّرِيــقَ إلى الجنّــاتِ يَمْلَــؤُهُ ... حَشْــدٌ كبــيرٌ مــن الأَشْــواكِ والحُفَــر

١٧٩- ومِــنْ نُفُــوسِ عِبــادِ اللهِ يَــدْفَعُها ... رَخِيصَــةً أَوْلِيــاءُ اللهِ في الْخَطَــر

١٨٠- وذا الرّســولُ حبيــبُ اللهِ بَشَّــرَهُمْ ... بأنّ نَصْــرَهُمُ كــالرَّمْيِ عــن وَتَــر[٣]

١٨١- إنّ الــذّي صــادَفُوا مِــنْ أُمَّــةٍ كَفَــرَتْ ... بَرَبَّهــا سُــنَّةٌ للهِ في العُصُــر

١٨٢- واللهُ بارئُهُــمْ بالفَضْــلِ خَصَّــهُمُ ... كــانوا مــن الــدِّين كالآســاسِ للجُــدُر[٤]

---

(١) والدي عمّار : يا والدي عمّار .

(٢) المَفْرِق من الرّأس : حيث يُفْرَق الشَّعَر .

(٣) كالرّمي عن وتر : أي كمسافة رميِ السَّهم .

(٤) الآساس جمع أُسّ بمعنى الأساس .

١٨٣- والمصطفى بَشَرٌ أَوْحَى لَهُ مَلَكٌ ... في ساعةِ العُسْرِ أنّ الكُفْر في خُسُر

١٨٤- وأنّ ذا الدَّينَ ربُّ العَرْشِ مُظْهِرُهُ ... فليس يُخْشى على ذا الدّين مِنْ ضَرَر

١٨٥- حتّى ترى الرَّكْبَ مِنْ صَنْعاَ إلى عَدَنٍ ... فليس يُخْشَى سِوىَ الْمَوْلَى وذي الظُّفُر

١٨٦- واللهُ بارِئُهُمْ بالعَفْوِ أَكْرمَهُمْ ... ما نال آباءَهُمْ أَقْسَى لِمُعْتَبِر

١٨٧- قد كان يُنْشَرُ مَنْ يَدْعُو لِبارِئِهِ ... في ساحَةِ الظُّلْمِ بالمِنْشارِ في الظُّهُر

١٨٨- وماَ عَلا العَظْمَ مِنْ لَحْمٍ ومِنْ عَصَبٍ ... يُزالُ حتّى يقالَ العَظْمُ للجُزُر[1]

١٨٩- واللهُ بارِئُهُمْ بالصَّبْرِ جَمَّلَهُمْ ... ما غَيَّرُوا دينَهُمْ في الْمَوقِفِ العَسِر

١٩٠- فالصَّبْرُ زادُكُمُ في كلّ مُعْتَرَكٍ ... والبَذْلُ واجِبُكُمْ بالنَّفْسِ والدُّرَر[2]

١٩١- هذا فَخارُكُمُ مِنْ فَضْلِ رَبِّكُمُ ... عَلَيْكُمُ دون جَمْعٍ مِنْ قُوًى أُخَر

١٩٢- اللهُ مِنْ فَضْلِهِ يَخْتَصُّ أَجْدَرَنا ... بِحَمْلِ أَعْباءِ هذا الدِّين فاعْتَبِر

١٩٣- وجُنْدُ ربّكَ كُثْرٌ ليس يَعْلَمُهُمْ ... على الحَقِيقَةِ إلاّ بارئُ الصُّوَر

١٩٤- كُلُّ الدُّرُوبِ تراءى أنّها مُلِئَتْ ... بِكُلِّ ما يَمْنَعُ التَّحْقِيقَ لِلْوَطَر

١٩٥- ذاك الّذي ظَنَّهُ أعداءُ مِلَّتِهِ ... ذاك الّذي قَدَّرُوهُ فاقِدُو النَّظَر

١٩٦- أمّا الّذي قد قَضَى الْمَوْلَى لِمِلَّتِهِ ... فإنَّهُ النَّصْرُ والتَّحقُيقُ لِلظَّفَر

١٩٧- هذا الرّسولُ حَبيبُ اللهِ هِمَّتُهُ ... يَدْعُو إلى اللهِ في الآصالِ والبُكَر

١٩٨- وكلّما طافَ وفدٌ أو سَعَى نَفَرٌ ... تَلا الرّسولُ عَلَيهِم مُحْكَمَ السُّوَر

١٩٩- وشاءَ ربُّكَ أن يَلْقَى الهُدَى بِمِنَى ... رهطاً من الْخَزْرَجِ الآتين لِلْعُمَر[3]

٢٠٠- أَتَى الرّسولُ إليهم ثمّ ساءَلَهُمْ ... مَنِ الكِرامُ أَتَوْا في ثَوْبِ مُعْتَمِر ؟

٢٠١- قالوا لَهُ نحن رَهْطُ الخزرجِ ائْتَمَرُوا ... أَمْرَ المليكِ وهم ناوونَ لِلسَّفَر

---

(١) الجزر جمع جَزور ، وهو ما يصلح أن يذبح من الإبل .

(٢) المعترك : موضع الاعتراك .

(٣) الهُدَى : محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم .

٢٠٢- قـال الرّسـولُ مُـرادِي أن أبلّغكُـمْ رِسـالةَ اللهِ قـد حُطَّـتْ علـى ظَهَـري
٢٠٣- إذا جَلَسْـتُمْ سمعـتُمْ مـا يَسُـرُّكُمُ ممّـا تكـونُ بِـهِ الـذِّكرى لِمُـدَّكِر
٢٠٤- اللهُ أوحَـى كتـاباً فيـه عِـزُّكُمُ إذا اتّعَظْـتُمْ بمـا يَحْـوِي مـن العِـبَر
٢٠٥- واللهُ أَرْسَـلَني لِلنَّـاسِ كُلِّهِـمِ كـي يَسْـتَجِيبُوا لِتَبْشِـيرِى وللنُّـذُر
٢٠٦- إنّي بَشِـيرٌ بِجَنّـاتٍ لمـنْ سَـبَقُوا إلى اعتنـاقٍ لِـدينِ اللهِ والفِطَـر
٢٠٧- إنّي نَـذِيرٌ بِنـارٍ مَـنْ وَعَـى نُـذُري ثمّ انثـنى هـارباً كالشّـاةِ مـن نَمِـر
٢٠٨- أنا النّـبيُّ رسـولُ اللهِ لِلْبَشَـرِ مـن كُـلَّ جِـنْسٍ ولَـوْنٍ في مـدى العُصُـر[1]
٢٠٩- بِيَ النَّبِيُّـونَ حـتَّى الـنَّفْخِ قـد خُتِمُـوا فـلا نَـبِيَّ يُـرَى بَعْـدِي علـى أَثَـري
٢١٠- واللهُ بَشَّـرَني بالـدَّين يُظْهِـرُهُ في سـائِرِ الكَـوْنِ تحـت الشَّـمْسِ والقَمَـر
٢١١- فـلا مكـانَ لِـدِينٍ غَـيْرِ مـا نَطَقَـتْ آيُ الكتـابِ بِـهِ كـالأَنْجُمِ الزُّهُـر
٢١٢- مَـنْ لـيس يَتْبَعُـني في الـدِّينِ أَرْسَـلَنِي بِـهِ المليـكُ فمـأواه إلى سَـقَر
٢١٣- ولـيس يَنْفَعُـهُ ذِكْـرٌ لَـهُ حَسَـنٌ مِثْـلَ النَّسـيمِ سَـرَى قـد مَـرَّ بالزَّهَـر
٢١٤- حُسْـنُ الثَّنـاءِ مُنـاهُ لا رِضـا مَلِـكٍ فَمُنْتَهَـى حَظِّـهِ مـا خُـطَّ في السَّـيَر
٢١٥- مَصِـيرُه النّـارُ فيهـا جِـدُّ مُحْتَقَـرِ وحُسْـنُ أفعالِـهِ مِـنْ جُمْلَـةِ الهَـدَر
٢١٦- حُسْـنُ العَقِيـدةِ أُسُّ الخـير تَفْعَلُـهُ وحُسْـنِ قَـوْلٍ وحُسْـنِ القَصْـدِ والفِكَـر
٢١٧- مصـيرُ مَـنْ يَفْعَـلُ الخـيراتِ جَنَّتُـهُ فيهـا النَّعِـيمُ الّـذي يَخْلُـو مِـنَ الكَـدَر
٢١٨- اللهُ خـالِقُكُمْ بِيعُـوه أَنْفُسَـكُمْ رَخِيصَـةً في ظِـلالِ البِـيضِ والسُّـمُر
٢١٩- جِنـانُ عَـدْنٍ ثَـوابُ الـنّفْسِ تَبْـذُلُها وتبـذُلُ المـالَ في يُسْـرٍ وفي عُسُـر
٢٢٠- اللهُ أَرْسَـلَني بالـدِّينِ أَكْمَلَـهُ اللهُ قـد رَضِـيَ الإسـلامَ لِلْبَشَـر
٢٢١-قَـوْمِي قُـرَيْشٌ أَبَى ذا الـدّينَ جُلُّهُـمُ وأَنَّـني مُرْسَـلٌ مِـنْ جُمْلَـةِ النُّـذُر

(١) في مدى العُصُر : في طولها وحتّى نهايتها .

٢٢٢- هــم يَمْنَعُــونِيَ مِــنْ إبــلاغِ مِلَّتِــهِ لِسـائِرِ النّـاسِ مـن بَـدْوٍ ومِـنْ حَضَـر
٢٢٣- وإنّــنِي قــادِمٌ لكُــمُ بِمَجْلِسِــكُمْ أَدْعُــوكُمُ فاكْسَــبُوها فُرْصَــةَ العُمُــر
٢٢٤- بالــدِّين قــد تَمَّــمَ الــرّحمنُ نِعْمَتَــهُ علــى خَلائِقِــهِ يا خــزرجُ اتْتَمِــرِي
٢٢٥- قولُــوا شَــهِدْنا بأنّ الله بارئُنــا وأنَّــهُ وَحْــدَهُ المقصــودُ بالــوَطَر
٢٢٦- ولــيس نُشْــرِكُ بالــرّحمنِ خالِقِنــا ونحــن نُفْــرِدُهُ بالقَصْــدِ في الضَّــرَر
٢٢٧- ونُشْــهِدُ اللهَ أنّ الــرُّوحَ نبــذُلُها رَخِيصَــةً في سَــبِيلِ اللهِ في الخَطَــر
٢٢٨- قولــوا محمّــدٌ المختــارُ أَرْسَــلَهُ ربُّ الأنامِ لِكُــلَّ النّــاسِ والعُصُــر[1]
٢٢٩- قولــوا شَــهِدْنا بأنّ الحَــقَّ مِلَّتُــهُ وأنّنــا نَتْبَــعُ المختــارَ مِــنْ مُضَــر
٢٣٠- وأنّنــا جُنْــدُ ربَّ العَــرْشِ واجِبُنــا أن نَحْمِــيَ المصــطفى في الحِــلَّ والسَّــفَر
٢٣١- حــتّى يبلِّــغَ دِيــنَ اللهِ لِلْبَشَــرِ بــدون خَــوْفٍ مِــنَ الكفّــارِ أو حَــذَر
٢٣٢- هذا هو العِزُّ ربُّ العرش ساقَ لكم ولــيس مــا أنْــتُمُ فيــه مــن الغَــرَر[2]
٢٣٣- لقــد تــلا المصــطفى آياً مــن السُّــوَرِ تَسِــيلُ مــن فَمِــهِ كالعِقْــدِ مــن دُرَر
٢٣٤- تَفَكَّــرَ الــرَّهْطُ في القَــوْلِ الّــذي سَمِعُوا وفي المعــاني ومــا ضَــمَّتْ مِــنَ العِــبَر
٢٣٥- اللهُ بارِئُهُــمْ لِلْخَــيْرِ وفَّقَهُــمْ بالحــقِّ أَنْطَقَهُــمْ في قِمَّــةِ العُسُــر
٢٣٦-قــالوا سَمِعْنــا كلامــاً صِــيغَ مــن دُرَرِ يَهْــدِي إلى الرُّشْــدِ والجنّــاتِ والنَّهَــرَ
٢٣٧- هــذا النَّبِيُّ الّــذي قــد حــانَ مَوْعِــدُهُ هــذا الرّســولُ كمــا قــد جــاء في الخَــبَر
٢٣٨- جِيرانُنــا مِــنْ يهــودٍ حــينَ نَقْهَــرُهُمْ يُهَــدِّدُونَ الّــذي قــد نال للظَّفَــر
٢٣٩- بأنّهــم عــن قَرِيــبٍ ســوف يَنْصُــرهُمْ ربُّ الأَنامِ ويَحْمِــيهِم مــن الغِــيَر[3]
٢٤٠-بِبِعْثَــةِ المصــطفى قــد حــان مَوْعِــدُهُ ووصــفُهُ جــاء في التَّــوْراةِ والزُّبُــر

(١) العُصُر لغة في العصر بمعنى الدّهر .
(٢) الغَرَر : الخطر .
(٣) غِيَر الدّهر : أحواله وأحداثه المتغيّرة .

٢٤١- هُـمْ هَـدّدونا بأنّا سـوف نَتْبَعُـهُ ... وسـوف نَـذْبَحُكُمْ كالشّـاءِ والبَقَـر

٢٤٢- نَأْتِي الّـذي كـان في عـادٍ وفي إرمٍ ... مِـنَ الفَظـائعِ والتَّقْطيـعِ لِلأُصُـر[1]

٢٤٣- لا يَسْـبِقنَّ إليـه القَـوْمُ إنَّهُـمُ ... قُـدَّتْ قلـوبُهُمُ مِـنْ أَصْـلَبِ الحَجَـر

٢٤٤- إنّا خَبَـرْناهُمُ في حَـرْبِ إخـوتِهِمْ ... في الـدِّينِ إن ظَفِـرو كالفَـأْرِ والهِـرَر

٢٤٥- لا يَتْرُكُـون قَمِيصـاً قُـدَّ مِـنْ قُبُـلٍ ... لا يَتْرُكُـونَ قميصـاً قُـدَّ مِـنْ دُبُـر[2]

٢٤٦- فكيـف لـو سَبَقُوا لِلـدِّينِ وانْتَصَرُوا ... ونَشْـوَةُ النَّصْـرِ فاقَـتْ نَشْـوَةَ السَّـكَر

٢٤٧- لا يَتْرُكُـونَ لنـا أُنْثَـى ولا ذكـراً ... إلاّ ضَـجِيعَ قَتِيـلِ الصّـارِمِ الـذَّكَر

٢٤٨- شَـهادَةُ الحـقَّ إنّا اليـوم نُعْلِنُهـا ... علـى مَسـامِعِ كُـلِّ الكَـوْنِ والبَشَـر

٢٤٩- اللهُ معبـودُنا والمصـطفى بَشَـرٌ ... رسـولُهُ في جميـعِ النّـاسِ والعُصُـر

٢٥٠- محمّـدٌ خَيْـرُ خَلْـقِ اللهِ قاطِبـةً ... شَـفِيعُنا يـوم نَفْـخِ الصُّـورِ والصُّـوَر

٢٥١- ودِينُنـا الحـقُّ إسْـلامٌ نَعِـيشُ لَـهُ ... حـتّى نلاقـيَ ربَّ البيـتِ في السَّـفَر

٢٥٢- لا نَسْـتَقِيلُ ولا نَرْضَـى إقالتَنـا ... مـا لم نُصَـرَّعْ ومـا لم نُلْـقَ في الحُفَـر

٢٥٣- أُبْسُـطْ يمينَـك يا مُخْتـارُ إنّ بنـا ... شَـوْقاً إلى جَنَّـةِ الفـردوسِ والسُّـرُر

٢٥٤- وأْذَنْ لنـا في رُكُـوبِ النُّـوقِ نَخْفِزُهـا ... علـى الرُّجـوعِ لأرضِ الأَهْـلِ والأُسَـر

٢٥٥- القَصْـدُ دَعْـوَتُهُمْ لِلـدِّينِ أَكْرَمَنـا ... بـه المليـكُ فَنِلْنـا مُنْتَهَـى الظَّفَـر

٢٥٦- إنّا تركنـاهُمُ والشَّـرُّ بَيْـنَهُمُ ... كالنّـارِ في القـارِ لم تَتْـرُك ولم تَـذَر[3]

٢٥٧- إن يَجْمَـعِ اللهُ حَيَّيْنـا عليـك تَكُـنْ ... أَعَـزَّ شَـخْصٍ بِأَرْضِ البَـدْوِ والحَضَـر

٢٥٨- نعاهِـدُ اللهَ أنّا سـوف نَجْمَعُهُـمْ ... كـي يَسْـمَعُوا مـا سَمِعْنـا منـك مِـنْ دُرَر

٢٥٩- ومـا تَلَـوْتَ علينـا في مَجالِسِـنا ... مِـنْ طَيِّـبِ الـذِّكرِ والآياتِ والسُّـوَر

---

(١) الأصر : العلائق والرّوابط .

(٢) المراد بالقميص الدّرع الّتي يلبسها المحارب ، فهم يجهزون على الجرحى في المعركة .

(٣) القار : زيت البترول .

٢٦٠- ومـا دَعَـوْتَ لَـهُ مِـنْ نَبْـذِ آلهـةٍ كُـلُّ الّـذي جـاء منهـا خـالِصُ الضَّـرَر
٢٦١- إنّا أَجْبنـــا إلى تَوْحِيـــدِ خالِقِنـــا ربَّ الوجـــودِ ورَبَّ الشَّـــمْسِ والقَمَـــر
٢٦٢- مَعْبُـوُدنا واحِـدٌ معبـودُنا صَـمَدٌ معبـــودُنا ربُّ هـــذا الكـــونِ والبَشَـــر
٢٦٣- رسـولُهُ أحمـدُ المختـارُ مـن مُضَـرٍ نُـورُ الفـؤادِ وهـادي السَّـمْعِ والبَصَـر
٢٦٤- يا قومَنـــا إنّنـــا جئنـــا نبشَّـــرُكُمْ بمـــا ظَفِـــرْنا بِـــهِ في رِحْلَـــةِ العُمُـــر
٢٦٥- اللهُ أَكْـــرَمَ أَهْـــلَ الأَرْضِ قاطِبَـــةً بِبِعْثَـــةِ المصـــطفى المختـــارِ مـــن مُضَـــر
٢٦٦- واللهُ أَكْرمَنـــا لِلْحـــقِّ أرشـــدَنا إنّا بِتَصْـــــدِيقِهِ مَـــــنْ نالَ لِلْـــــوَطَر
٢٦٧- يا قومَنـا إنّنـا عُـدْنا علـى عَجَـلٍ وكُلُّنـــا فَرْحَـــةٌ والجِـــدُّ في السَّـــفر
٢٦٨- والقَصْـدُ إرْشـادُكم لِلـدِّينِ أَكْرَمَنـا بـــه المليـــكُ بِـــرَغْمِ الكاشِـــحِ الأَشِـــر[1]
٢٦٩- يا أَوْسَـــنا أنـــتُمُ أبنـــاءُ جَـــدَّتِنا أبنـــاءُ جِلْـــدتِنا مِـــنْ أقْـــدَمِ العُصُـــر
٢٧٠- ماذا اسْتَفَدْنا من الحربِ الّتي طَحَنَتْ آباءَنا وأرتْنـــا اليُـــتْمَ في الصَّـــغَر
٢٧١- أَيْـنَ الحُلُـومُ وقـد غابَـتْ لِمَشْـهَدِنا ونحـــن نُنْحَـــرُ في الْمَيْـــدانِ كـــالجُزُر
٢٧٢- لا تَنْقَضِـي آفَـةٌ لِلْحَـرْبِ قـد دُفِنَـتْ إلاّ ومـــيلادُ أُخْـــرَى حـــانَ بـــل أُخَـــر
٢٧٣- هَـلِ الحيـاةُ صِـراعٌ دونمـا هَـدَفٍ أَلَا مَقَـــالَ لِغَـــيْرِ الصّـــارِمِ الـــذَّكَر
٢٧٤- إذا تُجَّـــردُ لي سَـــيْفاً لِتَقْتُلَـــني مِـنْ واجِـبي الـدَّفْعُ عـن نَفْسـي وعـن أُزُرِي
٢٧٥- بالسَّـيْفِ بالـرُّمحِ بالأقـواسِ بالـوَتَرِ بالـــدَّرْعِ بالحِصْـــنِ بالآطـــامِ بالجُـــدُر[2]
٢٧٦- أمّـا الحصـادُ لِهـذا الحَشْـدِ مِـنْ عَـدَدٍ وعُـــدَّةٍ فَمَزِيـــدُ القَتْـــلِ والثَّـــأَر[3]
٢٧٧- ونحـــن في حَرْبِنـــا دومـــاً ثعالِبُنـــا يُـــزَوَّدُونَ كلينـــا بالقنـــا السُّـــمُر
٢٧٨- وبالسَّـــلاحِ أذاقَ المـــوتَ ســـادَتَنا وجَـــزَّهم مثـــل جَـــزَّ الصُّـــوفِ والشَّـــعَر

---

(١) الكاشح : العدوّ المبغض .

(٢) الحصن : بناءٌ عسكريّ مربّع الشّكل يُبْنَى بحجارةٍ ضخام ليس بينها حشو ، ويكون فيه عادةً بئر ماء . والآطام جمع أُطْم وأُطُمْ ، وهو بناء عسكريّ سكنيّ أصغر من الحصن ويُبْنى بحجارةٍ صغار بينها حشو .

(٣) الثَّأَر : الثّأر .

٢٧٩- ونحن ماذا دَهانا ليس يَلْفِتُنا ... إلى النَّوايا الّذي يَتْلُونَ مِنْ أَثَر

٢٨٠- في كُلَّ مُعْتَرَكٍ نَسْقِيهِمُ جُرَعاً ... مِنَ الْمَنُونِ يقول القومُ في ذُعُر

٢٨١- آن الأوانُ لِمَبْعوثٍ سَنَتْبَعُهُ ... وسوفَ نَذْبَحُكُمْ كالشّاءِ والبَقَر

٢٨٢- يا قَوْمَنا إنّ ربَّ البَيْتِ أَكْرَمَنا ... بالنُّورِ في قَلْبِنا بالنُّورِ في البَصَر

٢٨٣- يا قَوْمَنا دينُنا الإسلام نُعْلِنُهُ ... عليكُمُ بِلِسانِ الصَّدْقِ لا الهَذَر[١]

٢٨٤- محمّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمُ ... محمّدٌ رَحْمَةُ الرّحمنِ لِلْبَشَر

٢٨٥- محمّدٌ خاتَمُ الرُّسْلِ الكرامِ أَتَى ... مِنْ بعد ما طالَ عهدُ النّاسِ بالنُّذُر

٢٨٦- نَدْعُوكُمُ قَوْمَنا للدِّينِ أكرَمَنا ... به المليكُ وبالقرآنِ والسُّوَر

٢٨٧- نَدْعُوكُمُ لِحَديثٍ حين نَسْمَعُهُ ... يَفُوقُ زَهْرَ الرُّبَى والعِقَدَ من دُرَر

٢٨٨- آن الأوانُ لِطَرْدِ الشَّرْكِ أَجْمَعِهِ ... ولِلدُّخولِ بِدِينٍ راقَ لِلْفِطَر

٢٨٩- إن يَجْتَمِع قَوْمُنا والأوسُ إِخْوتُنا ... على الرسّول بِإِذْنِ الله نَنْتَصِر

٢٩٠- دِينٌ ودُنْيا بإذنِ اللهِ مَكْسَبُنا ... إذا نَسِيرُ وراءَ المصطفى المضري

٢٩١- إنّا سَعِدْنا بِذاك البَدْرِ يَقْصِدُنا ... بِبَطنِ مَكَّةَ لمّا زارَ في الظُّهُر

٢٩٢- ماذا نقولُ عَنِ الآياتِ يَقْرَؤها ... ماذا نقول عن الأَمْثالِ والعِبَر

٢٩٣- ماذا نقولُ عَنِ الأقوالِ يُرْسِلُها ... نقول وادي قُبا قد فاح بالزَّهَر[٢]

٢٩٤- وأيُّ زَهْرٍ ورَيْحانٍ وفاغِيَةٍ ... يضارِعُ الطَّيِبَ مِنْ وَحْيٍ ومن قَمَرَ[٣]

٢٩٥- إنّ اللّسانَ عَيِيٌّ حين يَنْعَتُهُ ... إنّ البيانَ جبانٌ غُلَّ بالحَصَر[٤]

٢٩٦- لا شَيءَ أفضلُ تعبيراً لِبَهْجَتِنا ... مِنَ الدُّخُولِ بِدينِ اللهِ في زُمَر

---

(١) الهَذَر : سَقَط الكلام .

(٢) وادي قباء يُمَّد ويُقْصَر ، من أجمل أودية المدينة المنوّرة وأخصبها . وبقباء مسجد قباء .

(٣) الفاغية : الرّائحة الطّيّبة ونَوْر كُلّ نبتٍ ذي رائحةٍ طيّبة .

(٤) غُلّ : وُضع الغُلّ في يديه وعُنقه . والحَصَر : عَدَم القدرةِ على الكلام .

٢٩٧- فَلْـــنُعْلِنِ الآنَ أنّ اللهَ خالِقُنـــا وأنّـــه وَحْـــدَهُ نَـــدْعُوهُ في الضَّـــرَر

٢٩٨- وأنّ مِنْهاجَنـــا قـــرآنُ خالِقِنـــا وَوَحْيُـــهُ في قَـــدِيمِ العِلْـــمِ والقَـــدَر

٢٩٩- وأنّ مَبْعوثَـــهُ المختـــارَ مـــن مُضَـــر هـــو الرّســـولُ لِجِـــنْسِ الجِـــنّ والبَشَـــر

٣٠٠- نحـن الـدُّعاةُ إلى الإسـلام في بَلَـدٍ قـــد خَصَّـــهُ اللهُ بِالإِسْـــراعِ للظَّفَـــر

٣٠١- إذا نكـــون اعْتَنَقْنـــا دِيـــنَ بارِئِنـــا فَلْنَنْشُـــرِ الـــدَّينَ في الحِيطـــانِ والمَـــدَر[1]

٣٠٢- بِمَـــنْ نَعُـــولُ علينـــا بَـــدْءُ دَعْوتِنـــا وبالأقـــــارِبِ والجِـــــيران والخَفَـــــر

٣٠٣- نُرِيـدُ نَعْلَـمُ أنّ الـدَّين قـد نُطِقَـتْ شـــهادَتاه بِكُـــلَّ البَـــدْوِ والحَضَـــر

٣٠٤- نريـد نَمْـلأُ قلـب المصـطفى فَرَحـاً إذا رأى الـــدَّينَ مِـــلْءَ السَّـــمْعِ والبَصَـــر

٣٠٥- إنّ الّـذي قـد تَمَـنّى القَـوْمُ أكـرَمَهُمْ ربُّ الأنامِ بِـــــهِ يا أُمّـــــتِي اعْتَـــــبِري

٣٠٦- أوسٌ وإخـوتُهُمْ مِـنْ خَـزْرجٍ مَكَثُـوا في الجاهِلِيَّـــةِ مِثْـــلَ الضَّـــبَّ في جُحُـــر

٣٠٧- وحينمـا اعْتَنَقُـوا الإسـلامَ كـان لهـم علـــى البَرِيَّـــةِ فَضْـــلُ الغَيْـــثِ والمَطَـــر

٣٠٨- وأنـتِ يا أُمَّـتِي إن شِـئْتِ فـاقْتَلِعِي مِـــنْ باب جُحْـــرِكِ كُـــلَّ الـــدُّودِ والقَـــذَر

٣٠٩- أم أنْـتِ يا أمَّـتِي مـا زِلْـتِ جاهلـةً بِقِيمَـــةِ الكَنْـــزِ في كَفَّـــيْكِ والـــدُّرَر

٣١٠- قـــرآنُ ربَّـــكِ كنـــزٌ لا مَثِيـــلَ لَـــهُ في كـــلُّ مـــوحىً بِـــهِ في ســـالِفِ العُصُـــر

٣١١- وسُـنَّةُ المصـطفى الْمِفْتـاحُ فـاقْتَحِمي رياضَ جنّـــاتِ آيِ الـــوَحْيِ والسُّـــوَر

٣١٢- لا عُـذْرَ يُنْجيـكِ إنّ الـوَحْي يَحْرُسُـهُ ربُّ الأَنامِ مـــــن الآفـــــاتِ والغِـــــيَر

٣١٣- وإنّ سُـــنَّةَ خَـــيْرِ الخلـــقِ قاطِبَـــةً كالشَّـــمْسِ ظـــاهِرةٌ لِلْعَـــينِ والقَمَـــر

٣١٤- كُـلُّ الّـذي أنـتِ تَحْتـاجينَ أن تَقِفـي أَمـــامَ مَـــوْلاكِ والعَيْنـــانِ كـــالنَّهرَ

٣١٥- تَسْـتَغْفِرينَ إلـهَ العَـرْشِ مِـنْ زَلَـلٍ أَتَيْتِـــهِ وَقْـــتَ طَـــيْشِ العَقْـــلِ والفِكَـــر

٣١٦- وتُعْلِنِـينَ وطـرفُ العَـيْنِ مُنْكَسِـرٌ نَصُـــوحَ تَوْبِـــكِ لِلَّـــرحْمَنِ في السَّـــحَر[2]

---

(١) الحيطان بلغة أهل يثرب : البساتين ، والمفرد حائط . والمدر : بيوت الطّين .وتلك بيئة يثرب الزّراعية المستقرّة .

(٢) نصوح توبك : توبتك النَّصوح .

٣١٧- وتَسْـأَلِينَ لَطِيـفَ العَـوْنِ مـن مَلِـكٍ ربِّ رءوفٍ رحـــيمٍ جِـــدَّ مُقْتَـــدِر

٣١٨- وتُقْبِلِـينَ علـى الأعمـالِ مُتْقِنَـةً كَبِيرَهـا والّـذي قـد فـاق في الصَّـغَر

٣١٩- وتَعْبُـدين إلـهَ العَـرْشِ مُخْلِصَـةً لَـهُ العِبـادَةَ في الآصـالِ والبُكَـر

٣٢٠- كُلُّ الّذي جِئْتِ مِنْ قَوْلٍ ومِنْ عَمَلٍ لِوجْـهِ ربِّـكِ في الْمِيـزانِ ذو أثـر

٣٢١- إنّ العبـادَةَ في الإسـلامِ شـامِلَةٌ لِكُـلَّ خَـيْرٍ بأَقْصَـى القَلْـبِ مُسْـتَتِر

٣٢٢- فكيف بالقَوْلِ يَحْوِي سُنّةً حَسُنَتْ وكيـف بالفِعْـل مِثْـلَ الأَنْجُـمِ الزُّهُـر

٣٢٣- أُمّـاهُ إنَّـكِ بالإسـلامِ نابِغَـةٌ في القَـوْلِ والفِعْـلِ والآثارِ والحَجَـر

٣٢٤- أُمّـاهُ إنِّي بِـذِكْرِ المَجْـدِ قُمْـتِ بِـهِ كـأنّني جالِـبٌ تَمْـراً إلى هَجَـر

٣٢٥- إنّي أُذَكِّرُ والـذِّكرى لِمُعتَـبِرٍ إن تَنْصُـرِي اللهَ والإسـلامَ تَنْتَصِـرِي

تمّت

صبيحة يوم الأربعاء ١٤٢٥/٨/٢٢هـ

مكّة المكرّمة

القصيدة العشرون (٥٥) بيتاً

بيعة العقبة الأولى ودور مصعب بن عمير رضي الله عنه (من الوافر)

١- رِجـــالُ الخَـــزْرَجِ الوَفْـــدُ الكِـــرامُ كـــأنَّهُمُ وقـــد آبُـــوا حَمـــامُ[١]
٢- يَخُثُّـــون المطِـــيَّ بِكُـــلِّ قَلْـــبٍ بِـــهِ مِـــنْ فَـــرْطِ فَرْحَتِـــهِ هُيـــام[٢]
٣- ألَمْ يُكْـــــــرِمْهُمُ ربُّ الـــــــبَرايا بِـــدينِ الحـــقِّ جـــاءَ بِـــهِ الإمـــام[٣]
٤- هـــو الإســـلامُ قـــد ســـبَقَتْ إليـــهِ بِفَضْـــلِ الله يَثْـــرِبُ والكِـــرام[٤]
٥- إذا كـــان المطِـــيُّ بِـــلا جَنـــاحٍ تَطِـــيرُ بِـــهِ ألـــيس لهـــا اهْتِمـــام
٦- أَتَجْهَـــلُ أنّنـــا مِـــنْ فَـــرْطِ شَـــوْقٍ لِنَشْـــرِ الـــدِّينِ يَحْـــدُونا غَـــرام[٥]
٧- يَلِيـــقُ بِهـــا ونحـــن بِنـــارِ شَـــوْقٍ يَطِيـــبُ لهـــا شَـــرابٌ أو طَعـــام!
٨- فهـــل نَسِـــيَتْ صَـــفاءَ الـــوُدَّ مِنّـــا صَـــفاءُ الـــوُدَّ يَنْســـاهُ اللِّئـــام
٩- ولـــــيس مطيُّنـــــا إلاّ وفـــــاءً ولـــــيس بِقَلْبِنـــــا إلاّ ضِـــــرام[٦]
١٠- نُرِيـــدُ يكـــون يا رَكْـــبُ اتِّفـــاقٌ فلـــيس نَنـــامُ نحـــن فـــلا تنـــاموا
١١- إذا شُـــدَّ الزِّمـــامُ فـــذا دَليـــلٌ علـــى أنّ العُهُـــودَ كمـــا يُـــرام[٧]
١٢- وإن حُـــلَّ الزِّمـــامُ فـــذا دَليـــلٌ علـــى أن العُهُـــودَ بهـــا انْفصـــام[٨]
١٣- نُعاهِـــدُ أنّنـــا سَـــنَكونُ عَزْمـــاً وحَزْمـــاَ إنّـــه جَـــلَّ المَقـــام
١٤- مُنـــانا أن تُســـاعِفَنا نِيـــاقٌ فلـــيس يُحَـــلُّ مـــنهنّ الحِـــزام

---

(١) آبوا : عادوا إلى المدينة المنّورة .
(٢) الفَرْط : تجاوز الحدّ . فرط فرحته : شدّة فرحته . والهيام : شدّة الحبّ .
(٣) البرايا جمع البريّة بمعنى الخلق . والإمام محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلم .
(٤) يثرب : الاسم القديم للمدينة المنّورة .
(٥) يحدونا : يسوقنا . والغرام : شدّة الحبّ .
(٦) الضَّرام : اشتعال النّار .
(٧) الزِّمام : الحبل الّذي يقاد به البعير .
(٨) انفصام : انقطاع .

١٥- تُواصِـلُ سَـيْرَها لَـيْلاً وصُـبْحاً فلـيس يَـزُورُ أعْيُنَهـا المَنـام
١٦- وتَطْـوِي الأَرْضَ إن كانـت سُـهُولاً وحـين يكـون بالأَرْضَ الإكـام[١]
١٧- وتُوصِـلُنا إلى وادي قُبـاءٍ ويشربَ حيث قـد وَجَبَ السَّلام[٢]
١٨- سَـلامٌ كُلُّـهُ حُـبٌّ وخَيْـرُ وأَمْـنٌ وانْسِـجامٌ وابْتِسـام
١٩- ولـيس الخَيْـرُ مَقْصُـوراً علينـا فلِـلْأَوْسِ المحبَّـةُ والـوِئام
٢٠- إذا جَمَـعَ المليـكُ بُطـونَ أوسٍ وخزرجِهـا علـى الـدِّينِ اسْـتَقاموا
٢١- وإن جمـع المليـكُ علـى رسـولٍ بُطونَهُمـا فقُـلْ قـد عَـزَّ هـام[٣]
٢٢- هُـمُ الأُسْـدُ الضَّـواري في قِتـالٍ وقـولُهُمُ إذا وَعَـدُوا ذِمـام[٤]
٢٣- فـإن كـان المهـاجِرَةُ العِظـامُ بِـذاك العِقْـدِ يَكْتَمِـلُ النِّظـام[٥]
٢٤- رِجـالُ الخـزرجِ الـرَّهطُ الكـرامُ وفَـوْا بالعَهْـدِ كـان بـه الْتِـزام
٢٥- هَـمُ نَشِـطوا لِنَشْـرِ الـدِّينِ جَهْـراً فَكُـلُّ بُيـوتِ قـومِهِمُ مَـرام[٦]
٢٦- هُـمُ قَصَـدُوا بِـدَعْوَتِهِمْ جُمُوعـاً قريبـاً كـان بَيْـنَهُمُ خِصـام
٢٧- بِفَضْـلِ اللهِ هـم لاقَـوْا قَبـولاً علـى الإسـلامِ يَشْـتَدُّ الزَّحـام
٢٨- بِكُـلِّ رُبُـوعِ يَثْـرِبَ حَـلَّ نـورٌ مِـنَ الإسـلامِ فانْقَشَـعَ الظَّـلام
٢٩- وعَطَّرَهـا جميعـاً ذِكْـرُ طـهَ مِـنَ الرُّسْـلِ الكِـرامِ هـو الخِتـام
٣٠- نَـبِيٌّ خَصَّـهُ ربُّ الـبَرايا بآياتٍ هـي الـدُّرُّ التُّـؤام[٧]

---

(١) الإكام جمع الأكَمَة بمعنى التَّلّ .
(٢) وادي قباء : أخصب أودية المدينة المنوّرة . ويقع قبيل يثرب مباشرة .
(٣) الهام جمع الهامة بمعنى الرّأس .
(٤) الذِّمام : العهد .
(٥) المهاجرة : المهاجرون .
(٦) مرام : مطلب .
(٧) الدّرّ التّؤام : الّؤلؤ الغاية في الحسن والتّناسق وكأنّ الواحدة توأم الأخرى .

٣١- كِتـــابُ اللهِ أَنْزَلـــهُ إمامـــاً بِـــهِ يُهْـــدَى إلى الخـــيرِ الأَنام
٣٢- فلـيس يَضِـلُّ مَـنْ يَبْغِـى هُـداهُ ولا يَشْـــقَى ولا وقتـــاً يُضـــام
٣٣- وكيـف يَضِـلُّ مـن يَهْدِيـهِ وَحْـيٌ يُرَتَّـــلُ آيَهُ البَـــدْرُ التَّمـــام
٣٤- محمّـــدٌ الرّســـولُ إليـــه يُـــوحَى كِتـــابُ اللهِ يَحْمِلُـــهُ الإمـــام[١]
٣٥- إمـــامُ الـــوَحْيِ جبريـــلٌ عَلَيْـــهِ مِـــنَ المـــولى التّحيّـــةُ والسَّـــلام
٣٦- هـو المـأمونُ يَحْمِـلُ كـلَّ وَحْـيٍ بِـــهِ يـــوحِى إلى طـــهَ السَّـــلام[٢]
٣٧- وهـــذا الـــوَحْيُ يَحْمِلُـــهُ كِـــرامُ لِيَثْـــرِبَ حيـــث باتَ لَـــهُ مُقـــام
٣٨- عظـيمٌ حـالُ يثـرَب كـان مِنْهـا لِـــدينِ الله حُـــبٌّ واحْـــتِرام
٣٩- وتَرْحِيـــبٌ بِـــهِ فِي كُـــلِّ بَيْـــتٍ بِكُـــلِّ بُيُوتِـــهـــا نُـــورٌ يُشـــام[٣]
٤٠- هـو الفَضْـلُ العظـيمُ إليـه سِـيقَتْ وسِـــيقَ لهـــا ، كـــذا يُجْـــزَى الكـــرام
٤١- ولمّـا حـان وقـتُ الحَـجِّ كانـت علـــى مَجْهُودِهـــا قـــد مَـــرَّ عـــام
٤٢- وتحتـاجُ الـدَّلِيلَ علـى جُهُـودٍ مُوَفَّقَـــةٍ بهـــا يَعْلُـــو السَّـــنام
٤٣- ولـيس أَدَلُّ مِـنْ إرسـالِ وَفْـدٍ مِـــنَ الحَيَّـــيْنِ كـــان بهـــم كِـــلام[٤]
٤٤- يُرِيـــدُونَ النَّـــبِيَّ وحَـــجِّ بيـــتٍ بِمكّـــةَ يوجَـــدُ البَيْـــتُ الحـــرام
٤٥- وفِي أَثْنـــاءِ حَـــجَّ البَيْـــتِ تَمَّـــتْ مُبايَعَـــةٌ بهـــا غُمِـــدَ الحُســـام[٥]
٤٦- علـى التَّوْحيـدِ قـد صِـيغَتْ بُنـودٌ وأخـــلاقٍ بهـــا يَحْلُـــو الكَـــلام[٦]

---

(١) الإمام : جبريل عليه السّلام .

(٢) السّلام : مِنْ أسماء الله تعالى الحُسْنى .

(٣) يشام : يُنْظَر إليه ويَشِعّ .

(٤) الكِلام : جمع الكَلْم ، بمعنى الجرح .

(٥) المراد بيعه العقبة الأولى الّتي تُسَمى بيعة النّساء لأنّها ليس فيها مبايعةٌ على القتال .

(٦) بيعة العقبة الأولى تضمّنت مبادئها الآية الكريمة الثّانية عشرةَ من سورة الممتحنة الّتي نزلت في صلح الحديبية الّذي كان في ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة .

٤٧- ولم يكــنِ الزَّمــانُ زمــانَ عَهْــدٍ بِــهِ تُرْمَــى الرَّمــاحُ ولا السَّــهام[١]

٤٨- لقــد كــان الزَّمــانُ زَمَــانَ كَــتْمٍ لِعَهْــدٍ صــانَهُ حَــتَّى الغــلام

٤٩- بإذنِ اللهِ لم تَعْلَــمْ قُــرَيشٌ بِهــذا العَهْــدِ أَبْرَمَــهُ العِظــام

٥٠- وهــذا مُصْــعَبُ الــدّارِيُّ يَقْفُــو خُطـا الأَنْصـارِ بعـد الحـجَّ شـاموا[٢]

٥١- بِأَمْــرِ المصــطفى قــد حَــثَّ نُوقــاً لِيَثْــرِبَ حيــث أنصــارٌ أَقــاموا

٥٢- ليُقْــرِئَهُمْ كتــابَ اللهِ جَهْــراً لِيَقْــرَأَهُ علــيهم حيــث قــاموا

٥٣- لِيَنْشُــرَ بيــنهم دِينــاً رَضِــياً عــن الإسـلام قـد رَضِـي السَّـلام[٣]

٥٤- بِحَــقٍّ كــان مُصــعبُ عبقــرياً قــد اجْتَمَعَــتْ بِــهِ ســامٌ وحــام[٤]

٥٥- نَصَــرْتَ اللهَ في صِــدْقٍ فَحَــقٌّ علــى الــرّحمنِ نَصْــرُك يا هُمــام[٥]

تمّت

صبيحة يوم الجمعة ١٤٢٥/٩/٢٩هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) المراد أنّ الوقت لم يكن مناسباً بَعْدُ للمبايعة على القتال .

(٢) يقفو : يتبع . شاموا : يصحّ أن يكون المعنى أنّهم اتّجهوا إلى الشّام . ويثرب في طريق الشّام . ويصحّ أن يكون المعنى أنّهم تفرّقوا تفرّق الشّامات في الجسد . والشّامات جمع شامة .

(٣) السّلام : من أسماء الله تعالى .

(٤) سامٌ وحام ابنا نوح عليه السّلام . والمراد الأوس والخزرج كان بينهما قبل الإسلام حروبٌ ونفور .

(٥) الهُمام : السّيّد الشُجاع السَّخّي من الرّجال والأسد .

القصيدة الحادية والعشرون (١٦٦) بيتاً
بَيْعَةُ العقبة الثّانية والهجرة إلى المدينة المنوّرة (من الكامل)

١- اللهُ ربُّـــكَ مُكْـــرِمُ الأَنْصـــارِ ... قـد خَصَّـهُمْ دونَ الـوَرَى بِفَخـارِ [١]

٢- في يَثْـرِبِ الخَـيْراتِ هُـمْ قـد رَحَّبُـوا ... بالمصـــطفى والصُّـــحْبةِ الأَخْيـــار

٣- بِالأَمْـــسِ كـــانوا بايَعُـــوهُ خُفْيَـــةً ... والْيَـــوْمَ هـــم يَحْمُونَـــهُ كالجـــار[٢]

٤- الحـقُّ أَبْلَـجُ لـو نَأَى يومـاً هَـوَى ... لكنّـــــهُ يَحْتـــــاجُ لِلْبَتّـــــار

٥- مـا ازْدادَ أَهْـلُ الشَّـرْكِ مِـنْ حِلْـمٍ بِهِـمْ ... إلاّ مَزِيـــدَ الـــبَطْشِ بالأَحْـــرار

٦- هـــذا النَّـــبِيُّ الهـــاشِمِيُّ محمّـــدٌ ... يَنْحـــازُ لَيْـــلَ مِـــنىً إلى الأَنصْـــار

٧- مِثْـــلَ القَطـــاَ يَتَســـلَّلُونَ بِلَـــيْلِهِمْ ... كـــي يَلْتَقُـــوا بالمصـــطفى المُخْتـــار[٣]

٨- صَـــلَّى عليـــك اللهُ يا خَيْـــرَ الـــوَرَى ... مـــاذا لَقِيـــتَ لِنَشْـــرِ دِيـــنِ البـــاري

٩- تَتَفـــاوَتُ الأَقْـــوامُ في كَبَـــواتِهِمْ ... والْحَـقُّ يَمْضِـي مِثْـلَ نَهْـرٍ جـاري [٤]

١٠- قـد كـان خَيْـرُ النّـاسِ ردّاً أمَّـةً ... يَعْلُـــو بِمَفْـــرِقِهِمْ بَنُـــو النَّجَـــار[٥]

١١- نَفْسِـي فِـداءُ أُولِي الشَّـهامَةِ والحِجـا ... والصَّـــــدْقِ في الإقْبـــــالِ والإدْبار[٦]

١٢- عَهْـدِي بأنَّ النَّـاسَ جـاءُوا كُلُّهُـمْ ... في الأَصْـلِ مِـنْ طِـينٍ ومِـنْ فَخّـار[٧]

١٣- في الطَّـينِ أصْـنافُ المعـادِنِ كُلِّـها ... أتكـونُ ذي الأَنْصـارُ مَحْـضَ نُضـار[٨]

---

(١) الورى : الخلق .

(٢) خفية : سرّاً .

(٣) القطا : نوعٌ من اليمام واحده قطاة .

(٤) الكبوات جمع كبوة ، بمعنى السّقوط للوجه .

(٥) المَفرق من الرّأس : حيث يُفْرق الشَّعْر .

(٦) الحِجا : العقل .

(٧) الفخّار : الطين المحروق .

(٨) المحض : الخالص . النُّضار : الذهب .

١٤- قد كان مِنْ كُلَّ القَبائِلِ كَبْوَةٌ وَتَقَدُّمُ الأَنْصارِ دُونَ عِثار[١]

١٥- نالُوا بِفَضْلِ الله سَبْقاً بيِّناً يَشْدُو الأَنامُ بِهِ مَدَى الأَعْصار[٢]

١٦- مِنْ حَقِّهِمْ أن يَفْخَرُوا بِصَنِيعِهِمْ وبأن تُكَلَّلَ هامُهُمْ بالغار[٣]

١٧- هذا النّبيُّ محمّدٌ يَخْلُو بِهِمْ ومع النّبيَّ العَمُّ مِن كُفّار[٤]

١٨- يَخْشَى عليه العَمُّ عن عَصَبِيَّةٍ من عُصْبَةٍ صانُوهُ في الأَشْفار[٥]

١٩- هذا هو التَّوفيقُ ربُّكَ خَطَّهُ في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ والأَسْفار

٢٠- حَقٌّ على الجبّارِ نَصْرُ نبيِّهِ والنَّشْرُ لِلأَسْلامِ في الأَمْصار

٢١- جُنْدُ المليكَ كَثِيرةٌ أنواعُها بَعْضٌ نَراهُ وبَعْضُها مُتَواري

٢٢- صُنْعُ المليكِ إذا يُؤَيِّدُ جُنْدَهُ النَّصْرُ بالأَبْرارِ والفُجّار

٢٣- كُلُّ الّذين أَتَوْا من الأَنْصارِ قد أذعَنُوا لِلْواحِدِ القهّار

٢٤- الكُلُّ يُدْرِكُ ما عليه سِدادُهُ من باهِظِ الأَثْمانِ والأَخطار[٦]

٢٥- مَعْنَى مُبايَعَةِ النّبيّ وفاؤُهُمْ بالبَذْلِ لِلأَرْواحِ والدَّينار

٢٦- كُلٌّ رَخِيصٌ في مُقابِلِ جَنَّةٍ لِلْمُتَّقين ونِعْمَ عُقْبَى الدّار

٢٧- إنّ الحياةَ وإن تَطُلْ أيّامُها فَمَصِيرُها لِنهايةٍ وقَرار

٢٨- واللهُ قد حَثَّ الْعِبادَ لِيَعْمَلُوا كُلَّ الّذي في الوُسْعِ لِلْأَخيار

---

(١) العثار : السّقوط على الوجه .

(٢) الأنام : جميع ما على الأرض من خلق .

(٣) الهام : الرّءوس والمفرد هامة . والغار : شجرٌ دائم الخُضرة كان يُعْمَل منه إكليلٌ للقائد المظفّر أو الشّاعر المفلق .

(٤) عمّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم العبّاس بن عبد المطّلب .

(٥) من عصبة : من جماعة. والأشفار جمع شُفر . وشُفر الجَفْن حرفه الّذي ينبُت عليه الهُدب .

(٦) ما عليه سِداده : ما يلزمه دفعُه وبذله .

٢٩- إن الحيـــاةَ هَنِيّـــةٌ ورَضِـــيَّةٌ لِلْمُسْـرِعِينَ لِفِعْـلِ كُـلِّ خِيـار[١]

٣٠- مـادام قـد قَصَـدُوا بِحُسْـنِ صَـنِيعِهِمْ فَضْـلَ المليـكِ ورحمـةَ الجبّـار

٣١- مـا قِيمَـةُ الـدُّنْيا بِغَـيْرِ رِسـالةٍ لِلْحُـرِّ تَسْـتَهْوِى أُولى الأَبْصـار !

٣٢- في الْخَـيْرِ أَسْـنانُ الأُناسِ كَمِشْـطِهِمْ في الشَّـرِّ أسـنانٌ لهـم كَحِمـار[٢]

٣٣- إنّ المـبرَّزَ مِـنْهُمُ ذاك الّـذي تَبْـدُو شَـجاعتُهُ بِخَـطِّ النّـار

٣٤- ما قِيمَـةُ الأَخْطارِ في مَرْضاةِ مَنْ فَـرَضَ الوُجُـودَ وَمُـدَّةَ الأَعْمـار

٣٥- لـو أن أَهْـلَ الفَضْـلِ وقتـاً فَكَّـروا في الْمَـوْتِ تَخْلُـو الأَرْضُ مِـنْ عُمّـار

٣٦- إنّ الحيـاةَ لَذِيـذَةٌ في بَـذْلِها لِلّهِ دون تَـرَدُّدِ الخَـوّار[٣]

٣٧- تَخْلُـو مُقارَعَـةُ الحـوادِثِ مِثْلَمـا يَخْلُـو صِـراعُ المـوجِ للبَحّـار

٣٨- تَخْلُـو الحيـاةُ بِحُلْوِهـا وبِمُرِّهـا مِـنْ فَضْـلِ ربِّي الحُلْـوُ بالقِنْطـار

٣٩- تخْلُـو الحيـاةُ بِمُرِّهـا وبِحُلوِهـا مِـنْ فَضْـلِ ربِّي المِلْـحُ بالمِقْـدار

٤٠- إنّ الحيـاةَ قصـيرةٌ مهمـا تَطُـل وتَطُـولُ بالتَّقْـوَى وحُسْـنِ جِـوار

٤١- فـإذا تكـونُ لِكُـلِّ خَـيْرٍ ناوياً فاهْنـأْ بِشَـهْدِك أنـت كالمُشْـتار[٤]

٤٢- النَّحْـلُ يَهْـوَى في الزُّهُـورِ رَحِيقَهـا والخَيْـرُ في الإسْـلامِ كالأَزْهـار[٥]

٤٣- والحُـرُّ يَسْـعَى في الحيـاةِ كنَحَلْـةٍ في البَحْـثِ عـن غُصْـنٍ وعـن أَشْجار

٤٤- يَهْـوَى المعـالِيَ إنّهـا تَعْلُـو بِـهِ حَـتَّى تُـرَى في أُفْقِـهِ كَـدَراري[٦]

---

(١) الخيار : المختار المنتقَى .

(٢) يقال في المدح : هم سوا سيةٌ كأسنان المِشْط. وفي الذّمّ : هم سوا سيةٌ كأسنان الحمار .

(٣) الخوّار : الضّعيف .

(٤) الشَّهد : عسل النّحل مادام لم يُعْصَر من شمعه . واشتار العسل : استخرجه من الخليّة .

(٥) رحيق الأزهار : ما تُفْرِزه لاجتذاب الحشرات .

(٦) الدّراريّ جمع الدّرّيّ ، وهو الكوكب المتوقّد المتلألِيء .

٤٥- يَزْهُـو التَّقِـيُّ بِكُـل ثَـوْبٍ سـابِغٍ يَسْـمُوُ علـى الأَسْمـالِ والأَطْمـار[١]

٤٦- هـذا التَّقِـيُّ لِكُـلِّ خَـيْرٍ قائـداً فاقْـذِفْ بِـهِ في البَحْـرِ أوبصـحاري

٤٧- في البَـرِّ كالرَّئْبـالِ لا يَخْشَـى الـرَّدَى في البَحْـرِ مِثْـلَ القِـرْشِ وَحْـشَ بِحـار[٢]

٤٨- هـذى النُّعُـوتُ صِفاتُ جُنْـدِ محمّـدٍ هـو أُسْـوَةُ الأَبْـرارِ والأَخْيـار

٤٩- هُـمْ في بُحُـوُرِ المجـدِ كالإعصـارِ هُـمْ في حُـروبِ العِـزِّ مِثْـلُ ضـواري

٥٠- وإذا تكـونُ نُعـوتُهُمْ فَخَـرَتْ بِهـا منـذ القَـدِيمِ نواطِـقُ الأَحْجـار

٥١- قُـلْ لي بِرَبِّـكَ هـل سَتُنْصَـفُ عُصْبَةٌ قـد بايَعُـوا المختـارَ في الأَسْـحار ؟

٥٢- إنّي لَأَغْـبِطُهُمْ عَشِـيَّةَ أَبْصَـرُوا وَجْـهَ النَّـبِيِّ بَـدا كَشَـمْسِ نَهـار

٥٣- إن كُنْـتُ لم أَسْـعَدْ أكـونُ أجِـيرَهُمْ فَلْتَشْـدُ في حُـبِّي لَهُـمْ أَشْـعاري

٥٤- وهَـلِ الْمـدَيحُ مُكـافِيءٌ لِصَـنِيعِهِمْ مُـذْ عَرَّضُـوا الأَرْواحَ لِلأَخطـار

٥٥- مـا المـالُ مـا الأهلـونَ مـا أرواحُهُـمْ كُـلٌّ رَخِـيصٌ في سَـبِيلِ البـاري

٥٦- سـبحانك اللّهُـمَّ أنـت خَصَصْـتَهُمْ بالفَضْـلِ دونَ بَقِيَّـةِ الأَقْطـار

٥٧- صَـدَقَ المُهَـيْمِنُ إذا أشـادَ كِتابُـهُ بِتَبَـوُّئ الإيمـانِ أهـلَ الـدّار[٣]

٥٨- وإذا يكـونُ لِأَهْـلِ مكّـةَ كَبْـوَةٌ فَلِأَهْـلِ يَثْـرِبَ صَـوْلَةُ المِغْـوار[٤]

٥٩- إن يَكْفُـرِ الأَهْلـونَ حُمْقـاً مِـنْهُمُ فَسِـواهُمُ ليسـوا مـن الكُفّـار

٦٠- أَبْنـاءُ قَيْلَـةَ خَصَّـهُمْ مـولاهُمُ دون الأَنامِ بِبَيْعَـةِ المختـار[٥]

---

(١) سابغ : طويل . الأسمال: الثياب البالية والمفرد سَمَل . والأطمار : الثّياب البالية والمفرد طِمْر .

(٢) الرّئبال : الأسد .

(٣) المراد الآية الكريمة التّاسعة من سورة الحشر. والتَّبَوُّؤ : الاتخاذ .

(٤) المغوار : المقاتل الكثير الغارات على أعدائه .

(٥) قَيْلة : جَدّةُ الأوسِ والخزرج .

٦١- مَــنْ يَشْــتَرِي بِنَفِيسِــهِ وبنَفْسِــهِ عُلْيــا الجِنــانِ فَــنِعْمَ ذاكَ الشّــاري[١]

٦٢- المصـطفى في الصَّـحْبِ شَمْـسُ نهـارِ وصَــــحابَةُ المختــــارِ كالأَقْمــــار

٦٣- في ظُلْمِــةِ اللَّيْــلِ البَهــيمِ وشِــعْبِهِمْ بِمِــنىً يــدورُ اليــوم خَيْــرُ حِــوار

٦٤- الكــلُّ أوصَــى أن يكــون حديثُــهُ في لَيْلِــــهِ سِــــرّاً مِــــنَ الأَسْــــرار

٦٥- لَمْ يُعْلِمِــوا الكفّــارَ مــن أقــوامِهِمْ بالموَعْــــدِ المَضْــــروبِ والأَخْبــــار

٦٦- رَدّاً علــى العَبّــاسِ عَــمَّ محمّــدٍ كــــان الحــــديثُ لِسَــيِّدِ الأَنْصــــار

٦٧- لا خَـوْفَ مِـنْ قَصْـدِ النّـبيَّ ديارَهُـمْ حيــثُ الوَفــاءُ لَــهُ بِكُــلَّ ذِمــار[٢]

٦٨- أَبْنــاءُ قَيْلــةَ سِــرُّهُمْ هــو جَهْــرُهُمْ والفِعْــلُ عَــيْنُ الجَهْــرِ والإِسْــرار

٦٩- لا سِـرَّ عنـدهُمُ سِـوَى مـا أعْلَنُـوا لا شَــيْءَ عنــدهُمُ سِــوى الإظْهــار

٧٠- فليأخُـذِ المختـارُ مِـنْهُمْ مـا اشْـتَهَى لِلــــــدَّينِ لِلْمختــــــارِ لِلْقَهّــــــار

٧١- أمّــا الّــذي للهِ فَهْــوَ عِبــادَةٌ لِلّهِ خالصــــةٌ بِغَــــيْرِ ضِــــرار[٣]

٧٢- أمّـا الّـذي للْمصـطفى فحِمايَـةٌ للمصــطفى مِــنْ بَعْــدِ بُعْــدِ دِيار

٧٣- يَحْمُونَــهُ مِــنْ قَوْمِــهِ وعَــدُوِّهِ فكأنَّــــهُ لِلْجــــارِ بَعْــــضُ إزار

٧٤- حَــتَّى يُبَلِّــغَ دَعَــوَةً مِــنْ ربِــهِ للعــــالمين بِــــدونِ أيَّ حِــــذار[٤]

٧٥- قَــوْمُ النّــبيّ محمّــدٍ لم يَرْتَضُــوا أن يُوْصِــلَ الإســلامَ عنــد الجــار

٧٦- واللهُ بَشَّــــرَهُ سَــــيَبْلُغُ دينُــــهُ حيـث الْتَقَـى لَيْـلُ الـدُّجَى بِنَهـار[٥]

٧٧- فــإذا وَفَيْــتُمْ كَــيْ أُبَلِّــغَ دِينَــهُ كــــان الثَّــــوابُ بِجَنّــــةِ الأَبْــــرار

---

(١) الشّاري : المشتري .

(٢) الذِّمار : ما ينبغي الذّود عنه .

(٣) بغير ضرار : بغير ضرر .

(٤) الحِذار : الحذر .

(٥) الدُّجى : سواد اللّيل وظُلمتُه .

٧٨- إنّ النَّجاةَ مِنَ العَذابِ غَنِيمَةٌ النّـــارُ للفُجّـــارِ والكُفّـــار
٧٩- مَـنْ يرتَكِـبِ ذَنْبـاً ويَلْـقَ جَـزاءَهُ فَجَـزاؤه المَحّـاءُ لِلأَوْضـار[١]
٨٠- أمّـا الّـذي يَلْقَـى المليـكَ بِذَنْبِـهِ فَمَـردُّهُ للقـاهِرِ الغَفّـار
٨١- إن شـاء عَـذَّبَ أو عَفـا عـن عَبْـدِهِ أو شـاءَ يَسْـتُرُ عَبْـدَهُ بِسِـتار
٨٢- قـد رَتَّـلَ المختـارُ آيَ البـاري كانَـتْ مَحَـطّ السَّـمْعِ والأَبْصـار
٨٣- أمّـا حِبـالُهُمُ مـع الكفّـارِ في نَقْضِـها مَعَهُـمْ أو الإِمْـرار[٢]
٨٤- فـالقَوْلُ حَتْمـاً قَـوْلُ أَهْـلِ الـدّارِ في أَخْـذِ ثَأْرِهِـمُ أو الإِهْـدار
٨٥- إن هُـمْ بَنَـوْا فالمصـطفى بانٍ لَهُـمْ وكـذاك إن هُـمْ هَـدَّموا لِجِـدار
٨٦- فـإذا أعـزَّ الله ديـنَ محمّـدٍ فَمُحَمَّـدٌ مَعَهُـمْ بِخَـيرِ جِـوار
٨٧- لا يَرْتَضِـي أَبَـداً بَـدِيلَ جِـوارِهِمْ الجـارُ في الأَحْـرارِ قَبْـلِ الـدّار
٨٨- قَـوْلُ الرَّسـولِ يَحُـلَّ أَحْلَـى موقِـعٍ في قَلْـبِ كُـلَّ مُجاهِـدٍ أنصـاري
٨٩- لَمْ يَقْنَـعِ الأَنْصـارُ دُون تَسـابُقٍ في بَيْعَـةِ المختـارِ مِثَـلَ قِطـار[٣]
٩٠- كُـلٌّ حَـرِيصٌ أن يكـونَ بِمَوْقِـعٍ في السَّـبْقِ يبـدو مِثْـلَ ضَـوْءِ مَنـار
٩١- ما النّجْمُ ما شَمْسُ الضُّحَى ما كوكبٌ مـا البـدرُ كُـلٌّ في مَسـارٍ سـاري
٩٢- أمّـا صِـحابُ محمّـدٍ فجمـيعهُمُ مَنْظُومَـةُ الأَقْمـارِ بـل ودراري
٩٣- قـد بايَعُـوا المختـارَ إن هـو جـاءهم بالبَـذْلِ لـلأَرْواحِ لِلْبتّـار
٩٤- أمّـا الجَـزاءُ فَعِنـدَ ربٍّ ماجِـدٍ في جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ والأَنْهـار
٩٥- لا وَزْن لِلـدُّنيا وكُـلَّ نَعِيمِهـا إنّ النَّعـيمَ بهـا سَـحابُ نهـار

---

(١) الأوضار : الأوساخ والمفرد وضر .

(٢) إمرار الحبل : فَتْلُه .

(٣) القطار : مجموعة من المركبات تجّرها قاطرة.

٩٦- إنّ النَّعِـــيم السَّـــرْمَدِيَّ بِجَنّـــةٍ قـــد خَصَّـــهَا الـــرّحمنُ لِلأَبْـــرار[١]

٩٧- مَـــنْ يَبْـــذُلونَ نُفوسَـــهُمْ ونَفِيسَـــهُمْ كـــي يَنْشُـــرُو الإســـلامَ في الأمصـــار

٩٨- هـــذا قَـــرارُ أماجِـــدِا الأنصـــارِ قـــد فـــاقَ في التَّوْفِيـــقِ كُـــلَّ قَـــرار

٩٩- والمصـــطفى يَخْتـــارُ مـــن مَجْمُـــوعِهِمْ كُفَلاءَهُـــمْ كـــالعَيْنِ والإبْصـــار[٢]

١٠٠- هُـمْ في رِعـايَتِهِمْ لهـم قـد أَشْـبَهُوا كُفَـــلاءَ عِيســـى الـــرُّوحِ والأنصـــار

١٠١- هُـــمْ كـــالحَوارِيِّينَ حـــين دعـــاهُمُ عِيســـى لِنَصْـــرِ الـــدِّين والإقـــرار

١٠٢- كُفَلاؤُهُـــمُ نُقبـــاؤهُمْ رُؤَســـاؤهُمْ يَحْـــدُونَهُمْ في الـــوِرد والإصـــدار[٣]

١٠٣- أمّـــا النّـــبيُّ محمّـــدٌ فَكَفيـــلُ مَـــنْ مَعَـــهُ يُعـــانِي مِـــنْ أذَى الأَشْـــرار

١٠٤- أَمَـــرَ النّـــبيُّ مبـــايِعِي الأنصـــارِ أن يَرْجِعـــوا لِخُـــدورِهِمْ كضـــواري[٤]

١٠٥- ولْيَكْتُمـوا العَهْـدَ الّـذي قـد أَبْرَمُـوا وَلْيَبْـــقَ بَيْـــنَهُمُ مـــن الأســـرار

١٠٦- إنّ العَـــدُوَّ إذا تكشَّـــفَ سِـــرُّهُمْ يَرْمِـــي بِهِـــمْ في عُمْـــقِ جُـــرْفٍ هـــار[٥]

١٠٧- بالسَّـرّ تَبْلُـغُ مـا تُرِيـدُ فـلا تكُـنْ بِالكَشْـفِ عـن سِـرٍّ مـن الأَغْـرار[٦]

١٠٨- السَّـــرُّ يَلْـــزَمُ أن يكـــونَ بِحُفْـــرةٍ إن طِقْـــتَ أو بِئْـــرٍ مـــن الآبار

١٠٩- كَتَمَ الصَّحابُ عن الْخُصومِ لِقاءَهُمْ بالمصـــطفى والعَـــمَّ مِـــنْ كُفّـــار

١١٠- لا شَـخْصَ يَعْلَـمُ كيـف أنّ لِقـاءَهُمْ بِالمصـــطفى قـــد ســـار للفُجّـــار

١١١- أمّـا البِعـادُ عـن الّـِلقـاء فأقْسَـمُوا مـــا تَمَّ مِـــنْ شـــيءٍ ولا مِعْشـــار[٧]

---

(١) السّرمديّ : الخالد .

(٢) الكفلاء : جمع الكفيل بمعنى الضّامن .

(٣) الورد : ورد الماء . والإصدار الرّجوع عن الماء .

(٤) الخدور جمع الخدر وهو أَجَمَة الأسد .

(٥) الجرف : جانب الحفرة . هار : مشرف على السُّقوط .

(٦) الأغرار جمع الغِرّ ، وهو الّذي ينخدع إذا خُدِع .

(٧) المعشار : العُشر .

١١٢- والمتَّقُـــون تبـــادَلُوا نظـــراتِهِمْ العَـــيْنُ قـــد تُغْنيـــكَ عـــن أَسْـــفار

١١٣- والخَصْـمُ بـين مُصَـدَّقٍ ومكـذَّبٍ الشَّـــكُّ لا يَنْفَـــكُّ عـــن مُخْتـــار

١١٤- ذاكَ الـدُّخانُ تَفـوحُ منـه روائـحٌ إنَّ الـــدُّخانَ دَلِيـــلُ حَجْـــمِ النّـــار

١١٥- جُلُّ الْحَجِيجِ مَضَى لِقَصْدِ سَبِيلِهِ وقَلِـــيلُهُمْ مُتَعَـــرَّضٌ لِعِثـــار[١]

١١٦- لاقَـوْا مـن الكُفّـارِ كُـلَّ مَشَـقَّةٍ ونَجـاتُهُمْ كانَـتْ بِكَـفَّ مُجـار[٢]

١١٧- سَبَقُوا إلى الْمَعْرُوفِ إنّ كِرامَهُمْ كـــانوا أجـــارُوهُمْ مـــع التُّجّـــار

١١٨- لا يَـذْهَبُ المعـروفُ أَيْـنَ وضَـعْتَهُ إنْ لم يُـــذَعْ شُـــكْرٌ فَبِالإضْـــمار

١١٩- لا يَنْـدَمُ الأَخْيـارُ مِـنْ خَـيْرٍ أَتَـوْا مَعْـــروفُ أَكْثَـــرِهِمْ إلى الإنْكـــار

١٢٠- اِقْـذِفْ بِمَعْـرُوفٍ صَـنَعْتَ بِلُجَّـةٍ فَلَرُبَّمـــا قـــد صِـــدْتَ بالخَطّـــار[٣]

١٢١- لا تَنْتَظِرْ حُسْنَ الجَزاءِ مِنِ امرئٍ حُسْـــنُ الجَـــزاءِ يكـــونُ عنـــد البـــاري

١٢٢- وإذا تُقـــارِنُ بـــين مـــا قَدَّمْتَـــهُ وأَخَـــذْتَ ســـوف تَلُـــوحُ كالمِنْشـــار

١٢٣- أَبْنـاءُ قَيْلَـةَ إذْ أَتَـوْا مَعْـروفَهُمْ مـــا كـــان في الأَذْهـــانِ جَـــنْيُ ثِمـــار

١٢٤- هـذا هـو الْمَعْـرُوفُ هـذا دأْبُـهُ تَجْـــنِي الـــوُرُودَ بِـــهِ مـــع الأَزْهـــار

١٢٥- عـاد الحَجِـيجُ إلى بِلادِهِـمُ الّـتي طابَـــتْ مَغانِيهـــا بِحُسْـــنِ جِـــوار

١٢٦- عـادُوا إلى وادي العَقِيـقِ وعَرْصَـةٍ فيهـــا المِيـــاهُ تَسِـــيلُ كالأنهـــار

١٢٧- هـــذا العَقِيـــقُ عليـــه جَمّاواتُـــهُ ياليَْتَ كـان لهـا قُـرونُ صِـغار[٤]

١٢٨- دَوْمـاً لَـهُ تَرْنُـو وتُبْـدِى عَطْفَهـا في لَيْلِهـــا الزّاهِـــي وَحُسْـــنِ نهـــار

١٢٩- وثِيابُهـــا الحَمْـــراءُ يأسِـــرُ لونُهـــا عَـــيْنَ الّـــذي يَرْنُـــو إلى الآثار

---

(١) مضى لقصد سبيله : مَضَى في طريقه المستقيم الواضح .

(٢) مُجار : مَحْمِيّ ومُنْقَذ .

(٣) اللُّجّة : معظم البحر وتردّد أمواجه . والخطّار : الرّمح .

(٤) الجَماوات عبارةٌ عن ثلاثة جبالٍ . شُبِّهت الواحدة بالشّاة الجمّاء الّتي لا قرن لها .

١٣٠- ما غَيَّرَتْ في الدَّهْرِ قَطُّ ثِيابَها وثِيابُها الْحُمْراءُ غَيْرُ قِصار

١٣١- عادُوا إلى وادي قُباءٍ إنَّهُ في الأَرضِ حَقّاً رَوْضَةُ العَطّار

١٣٢- ما ظِلُّهُ ما نَخْلُهُ ما زَرْعُهُ أسْعِدْ بِمَنْ يَرْنُو مِنَ النُّظّار

١٣٣- ما لُطْفُهُ ما عِطْرُهُ ما طِيبُهُ فِيهِ يَطيبُ البَوْحُ بالأَسْرار

١٣٤- ما عَذْبُهُ ونَمِيرُهُ وخَرِيرُهُ غَنَّت سَوانِيهِ على الآبار [١]

١٣٥- هذا قُباءٌ قد بدا مِنْ نَضْرَةٍ وشَدِيدِ خُضْرَتِهِ كبَعْضِ حِرار [٢]

١٣٦- في ذي الحِرارِ وفي عُذوبةِ مائِها وجَمالِ نَضْرتِها تَغَنَّي السّاري

١٣٧- هذي الجبالُ الشُّمُّ مِنْ أَسْوارِ هذى حَدائقُها جَميلُ سِوار

١٣٨- سبحانَ مَنْ قد زانَ يَثْرِبَ بالحَيَا وسَماءَها بِتَلَأْلُؤِ الأَنْوار [٣]

١٣٩- أَتُرابُها من طِينِها أم طِيبِها إنّي لِشَمِّ الطِّيبِ كالمُحْتار

١٤٠- وإذا يَشُقُّ الفَجْرُ جُنْحَ ظَلامِها فاغْنَم فَرِيدَ الصُّبح والإسْفار [٤]

١٤١-وإذا أَتَى لَيْلٌ على آسادِها فَعُيونُهُمْ كالجَمْرِ ذاتُ شَرار

١٤٢- وإذ أَتَى لَيْلٌ على عُبّادِها فخُشُوعُهُمْ باللَّيْلِ كالإبْكار

١٤٣- حُجّاجُ يثربَ قد أَتَوْا لِصِحابِهِمْ فَتَقَابَلَ الأَطْهارُ بالأَطْهار [٥]

١٤٤- أَطْهارُ يَثْرِبَ قد تَجسَّدَ فيهِمُ خَيْرُ النُّعوتِ بَدَتْ على الأَخْيار

١٤٥- مالي أَرَى الأَجْواءَ فاقَ ضِياؤُها حتّى بدا لَيْلُ الدُّجَى كنهار؟

---

(١) السّواني جمع السّانية ، وهي الدّلو وأداته تجرّه الماشية ذاهبةً وآيبة .

(٢) النَّضرة : البريق واللَّطف . والحِرار جمع حرّة ، وهي أرضٌ ذات حجارة سود كأنها أُحْرِقت . والمدينة المنوّرة معروفةٌ بحرارها . وأشهر حرارها الحرّةُ الشّرقيّة وتُسَمَّى حَرَّة واقم . والحرّة الغربيّة وتُسمَّى حرّة الوَبْرة ، باسم دابّة برّيّة .

(٣) الحيا : الخِصْب .

(٤) جُنْح الظّلام : طائفةٌ منه .

(٥) الأطهار جمع الطّاهر وهو البرئ من العيوب النزّيه الشّريف .

١٤٦- وعَبِيرهُـا قـد فـاحَ في أَرْجائهـا أتكـونُ يَثْـرِبُ غـادَةَ المِعْطـار ؟ [١]

١٤٧- إنّ المهـاجِرَةَ الكِـرامَ أَتَـوْا بهـا نُـورٌ علـى نُـورٍ وفَضْـلُ بَهـار [٢]

١٤٨- وأُخُـوّةُ الإيمـانِ تلـك حَقِيقَـةٌ في أُمَّـةِ الإسـلامِ لا الـدَّينار

١٤٩- أَبْنـاءُ قَيْلَـةَ مارَسُـوها جَهْـرَةً مِـنْ ذات أَنْفُسِـهِمْ ومَحْـضِ خِيـار [٣]

١٥٠- جـادَت نُفُوسُـهُمُ الأَبِيَّـةُ بالّـذي في الجَيْـبِ بالبُسْـتانِ بـل بالـدّار

١٥١- كـان المهـاجِرَةُ الكـرامُ أَعِـزَّةً قـد أكْبَـرَوا مـا نِيـلَ باسْـتِقْرار

١٥٢- هُـمْ في أمـانِ اللهِ مُـذْ قـد هـاجَرُوا وَأَتَـوْا لِطِيْبَـةَ حَيْـثُ خَيْـرُ جِـوار

١٥٣- هُـمْ يَعْبُـدُونَ اللهَ في حُرَّيّـةٍ فلقـد تَسـاوَى الجَهْـرُ بالإسـرار

١٥٤- هـذا هـو الهَدَفُ الّـذي خُلِقـوا لَـهُ ولِأَجْلِـهِ أُوذُوا مـن الكُفّـار

١٥٥- ولِأَجْلِـهِ اضْـطُرُّوا لِتَـرْكِ بِلادِهِـمْ لا شـيءْ يَغْلُـو في سَـبِيلِ البـاري

١٥٦- مـا المـرءُ إلاّ عـابِرٌ لِسَـبِيلِهِ ومُسـافِرٌ للواحِـدِ القّهـار

١٥٧- وابـنُ السَّـبِيلِ قَلِيلَـةٌ حاجاتُـهُ يَحتـاجُ بَعْـدَ المـاءِ بَعْـضَ ثِمـار [٤]

١٥٨- ما أَقْصَرَ الأَعْمارَ في دُنْيا الوَرَى مـا العُمْـرُ إلاّ مِثْـلُ ظِـمْءِ حِمـار [٥]

١٥٩- إنّ المهـاجِرَةَ الكـرامَ تَخَفَّفُـوا مِـنْ كـلّ مـا في الظَّهـرِ مِـنْ أَوْزار [٦]

١٦٠- وأتَـوْا خَفِيفـى الـرُّوحِ تَقْفِـرُ بَهْجَـةً ولَرُبَّمـا طـارَتْ مـع الأَطْيـار [٧]

١٦١- هُـمْ طَلَّقُـوا الـدُّنْيا مـع الأَنْصـارِ مـا أشْـبَهَ الـدَّينارَ بالـدَّينار

---

(١) المعطار : من يتعهد نفسه بالطَّيب ويُكثِر منه .

(٢) البَهار : نوع من الزّهور طيّب الرّيح .ينبت أيّام الربيّع ويقال له العرار .

(٣) الخيار : الاختيار .

(٤) ابن السَّبيل : المسافر المنقطع .

(٥) الظَّمء : ما بين الشّربين . والحمار قليل الصّبر على الظّمأ .

(٦) الأوزار جمع الوزر بمعنى الحِمل الثّقيل .

(٧) الأطيار : جمع طائر .

١٦٢- كُـــلٌّ يجـــودُ بِنَفْسِـــهِ ونَفِيسِـــهِ مـــا هـــذه الـــدُّنْيا بِـــدارِ قَـــرار
١٦٣- القـــادِمون ذَوُو نُفـــوسِ كِبـــارِ والمكرِمـــــون لَهُـــمْ ذَوُو إيثـــــار
١٦٤- مِـنْ أيَّ أَنْـواعِ المعـادِنِ صـاغَكُمْ مـــولاكُمُ يا مَعْشَـــرَ الأنصـــار !
١٦٥- مِـنْ مَعْـدِنٍ صِـيغَتْ مُهـاجِرَةٌ بِـهِ مَحْـضُ النُّضـارِ ومَحْـضُ طِيـب نِجـار[١]
١٦٦- الزُّهْـدُ في الـدُّنيا مـع الإيثـارِ أُسُّ النَّجـاحِ وأُسُّ كُـلِّ عَمـار[٢]

تمّت

صبيحة يوم الأحد ١٥/١٠/١٤٢٥هـ

مكّة المكرّمة

(١)المحض : الخالص . والنُّضار : الذّهب. وطيب النَّجار : طيب الأصل .

(٢) الأُسّ : الأساس .

﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾

جاء في القرآن الكريم في العديد من المواضع الحديثُ عن بعض ملابسات الهجرة النّبويّة على جهة الخصوص ، ، الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإيمان على جهة العموم . ونودّ أن نتحدّث في بعض هذه المواضع الّتي لها عَلاقةٌ على نحوٍ من الأنحاء بالهجرة النّبويّة.

إن كفّار مكّة انتهى بهم درك عمى البصيرة إلى التّشاور في دار النّدوة ، بإيحاءٍ من إبليس الرّجيم والنّفس الأمّارة بالسّوء ، إلى طرح ثلاثة آراء خطيرة للمناقشة ذوات عَلاقةٍ بمصير محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم ، ووضع حدٍّ حاسم لممارساته صلّى الله عليه وسلّم التي أقضّت مضاجعهم . جاءت الإشارة إلى هذه الآراء في قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الأنفال[1] المدنيّة الكريمة :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، واذكر يا محمّد [2] إذ يمكر بك ويكيد لك الّذين كفروا من قريش ليقيّدوك[3] ويحبسوك[4] ويسجنوك[5] أو يقتلوك ، أو يخرجوك من بلدتك مكّة المكرّمة ، ويمكرون بك ويمكر الله تعالى بهم بصرف مكرهم عنك ، وردّ كيدهم إليهم . والله سبحانه وتعالى خير الماكرين ، إذ يصرف عن حبيبه صلّى الله عليه وسلّم مكر الكفّار وكيد الفجّار ، ويُخرجه من بين ظَهْرانَيْهِمْ محفوفاً بالعناية الإلهيّة حتّى يصل إلى المدينة المنوَّرة مُهاجَرِه ، ويَبْنِي دولة الإسلام الفتيّة . والمعروف أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم هو النّبيُّ

---

(١) الآية ٣٠ .

(٢) الجلالين ، والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٨٠/٥ .

(٣) تفسير الطّبري ١٤٨/٩ وتفسير ابن كثير ٥٨٤/٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٤٨/٩ وتفسير ابن كثير ٥٨٤/٣ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢ طبعة دار إحياء التراث العربي .

الوحيد الّذي ارتبطت دولته بدعوته عليه الصّلاة والسّلام .

والنّبي صلّى الله عليه وسلّم حينما أمره الله تعالى بالهجرة وأوحى إليه بواسطة جبريل عليه السّلام أن يغادر بيته على الفور تلك اللّيلة الّتي قرّر فيها كفّار قريشٍ قتله عليه الصّلاة والسّلام أمر ابن عمّه عليّاً رضي الله تعالى عنه أن ينام على فراشه صلى الله عليه وسلّم ويغطّي جسده ووجهه بثوبه صلّى الله عليه وسلّم الحضرميّ الأخضر وقال له : فإنّه لن يخلص إليك شيءٌ تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام[1] .

وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المشركين وهم على بابه عليه الصّلاة والسّلام ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه ، وأخذ حَفْنَةً من ترابٍ في يده ، فجعل ينثر ذلك التّراب على رءوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات [2] من سورة يس[3] قال عزّ من قائل :

﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم : ﴿ يس ﴾ إنّ من العلماء من ذهب إلى أنّ هذا اللّفظ ممّا استأثر الله تعالى بعلمه فقال : الله أعلم بمراده به[4] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ : ﴿يس﴾

---

(١) السّيرة النّبويّة ٤٨٣/١ .

(٢) السّيرة النّبويّة ٤٨٣/١ .

(٣) الآيات ١-٩ .

(٤) الجلالين .

من الحروف المقطّعة الّتي ابتدأت بها تسعٌ وعشرون سورةً من سور القرآن الكريم[١] فهذه الحروف امتدادٌ للتّحدّي بالقرآن الكريم ، الّذي تتألف كلماته من هذه الحروف ، ولكنّ القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه[٢] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ ﴿يس﴾ وكذلك ﴿طه﴾ من أسماء المصطفى صلّى الله عليه وسلّم [٣] .

ويُقسِم الحقّ جلّ وعلا بالقرآن الحكيم ، المحكم بما فيه من أحكامه وبيّنات حججه[٤] إنّك يا محمّد لمن المرسلين ، على طريق لا إعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام[٥] والقرآن الكريم تنزيل الله تعالى العزيز في ملكه ، الرّحيم بخلقه إذا تابوا وأنابوا إلى الله تعالى . وقد أرسلتك يا محمّد لتنذر قوماً ما أُنذِر آباؤهم فهم غافلون عن الهدف الّذي خلقهم الله تعالى من أجله وهو عبادته جلّ وعلا وَحْدَهُ دون سواه .

إنّ كفّار مكّة يحسبون أنّهم يُحْسِنون صنعاً لذا هم سعداء بكفرهم ولهم هيئة المتكبّر المغرور المخدوع عن حقيقة قدره ، والحقيقة أنّهم هم الأذلّاء الأخسرون أعمالاً .

إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً تشدّ أيديهم إلى أعناقهم شدّاً عنيفاً . والغُلّ ينفرد بين القيود بجمعه يد الأسير إلى عنقه[٦] لذا فالأيدي مشدودةٌ إلى الأذقان . وبناءً على ذلك كان حالُ كلَّ واحدٍ من المشركين هو حال الأسير العاني ، فهو مثل البعير المُقْمَح الّذي يَرِد الماء ولكنه لا يستطيع أن يشرب بسبب داءٍ أو بَرْدٍ فيرفع رأسه ويغمض عينه[٧] والكافرون بسبب الأغلال لا يستطيع الواحد منهم أن ينظر إلاّ أمامه .

والعادة جرت في هذه الحال أن يرى الشخص الّذي تلك حاله النّور الّذي يأتي إليه من الأمام . فإذا غاب هذا النّوع من النّور جاء دور النّور القادم هذه المرّة من الخلف فرآه

---

(١) انظر – مثلاً – معاني القرآن للفرّاء ٣٧١/٢ وتفسير الطّبري ٩٧/٢٢ .

(٢) درسنا هذه المسألة بإسهاب في كتابنا : تأمّلات في سورة البقرة ١٦–٢٢ .

(٣) انظر مثلاً الشّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣٢/١ .

(٤) تفسير الطّبري ٩٧/٢٢ .

(٥) تفسير الطّبري ٩٧/٢٢ .

(٦) انظر لسان العرب : " غلل " .

(٧) انظر لسان العرب : " قمح " .

ذلك الشّخص . وإنّ الحقَّ جلّ وعلا قد جعل من بين أيدي المشركين وأمامهم سدّاً منع النور القادم من الأمام أن يصل إلى المشركين ، فجاء دور النّور القادم هذه المرّة من الخلف. وإنّ الحقّ جلّ وعلا قد جعل من خلف المشركين سدّاً آخر منع كذلك النور القادم من الخلف أن يصلهم . وقد جعل الله تعالى على أبصار المشركين غشاوة[1] فهم لا يبصرون . ومعروفٌ أنّ المراد بالنّور نور الهداية ، وأنّ المراد بالغشاوة عمى البصيرة والعياذ بالله[2] .

وقد اتّجه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وفي صحبته أبو بكر رضي الله عنه إلى جنوب مكّة ، ومكثا ثلاث ليالٍ في غارٍ بجبل ثورٍ الّذي يُسَمَّى كذلك : أَطْحَل[3] وإنّما اتّجه صلّى الله عليه وسلّم جنوباً وليس شمالاً إلى المدينة المنورّة لإضلال الكافرين حتَّى يهدأ طلبهم له وتعقّبهم إيّاه .

وإلى بقاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه في الغار أشارت سورة التّوبة [4] في قوله عز من قائل :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) ﴾

والآية الكريمة تأتي في سياق حثّ سورة التّوبة المدنيّة الكريمة المتخلّفين عن الجهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك وفي ساعة العسرة وفرط المشقّة وحملهم على

---

(١) تفسير الطّبري ٩٩/٢٢ .

(٢) درسنا الآيات الكريمات في كتابنا : تأملات في سورة يس قلب القرآن ١٥-٢٧ .

(٣) معجم البلدان : " أطحل " .

(٤) الآية ٤٠ .

تلبية نداء الجهاد والانضمام إلى صفوف المقاتلين في سبيل الله تعالى واللَّحاق بركب المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بطل الأبطال وسيّد الرّجال .

ومعنى الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم ، إنّكم أيّها المسلمون ، إن لم تنصروا رسول الله تعالى في غزوة تبوك وساعة العُسْرة فإنّ الله سبحانه وتعالى قد نصر حبيبه صلّى الله عليه وسلّم في ساعةٍ أشدَّ عُسْراً وموقفٍ أكثر حَرَجاً حين [١] أخرجه صلّى الله عليه وسلّم كافرو قريش من مكّة المكرمّة وهو صلّى الله عليه وسلّم ثاني اثنين ، وأحد الاثنين ، وواحدٌ من الاثنين[٢] إذ هما في الغار ، وحين كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر في غار جبل ثورٍ الّذي لجئا إليه ثلاثة أيّام [٣] والغار النَّقب العظيم يكون في الجبل[٤] إذ يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لصاحبه أبي بكر : لا تَحَزْن نَفْسُك لِماَ نحن فيه من الموقف العصيب والكرب الشّديد ، إنّ الله سبحانه وتعالى معنا بالحماية والتّسديد ، والنّصْر والتّأييد . وكان ذلك ردّاً على أبي بكر رضي الله عنه الّذي رأى من الغار أقدام الكافرين فكان شديد الخوف على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

جاء في الحديث المتّفق عليه[٥] واللّفظ للإمام مسلم عن أنس بن مالك أنّ أبا بكرٍ الصّديّق حدّثه قال : نَظَرْتُ إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار فقلت : يا رسول الله ، لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه ، فقال : يا أبا بكر ، ما ظنّك باثنين الله ثالثهما . والمعنى أن الله سبحانه وتعالى مع حبيبه صلّى الله عليه وسلّم ومع أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، فلن يستطيع المشركون القريبون منهما كلّ القرب أن ينالوهما بأدنى أذى بإذن الله تعالى .

---

(١) الجلالين .

(٢) تفسير الطّبري ٩٥/١٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٩٥/٤ وتفسير الطّبري ٩٦/١٠ .

(٤) تفسير الطّبري ٩٥/١٠ .

(٥) صحيح مسلم ١٨٥٤ حديث رقم ٢٣٨١ وفتح الباري ٣٢٥/٨ حديث رقم ٤٦٦٣ .

وتُبَيِّنُ الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل على الفور سَكِينَتهُ وطُمَأْنِينَتَه[١] عليه صلّى الله عليه وسلم ، وأيّده وقوّاه بجنودٍ لم تروها أيّها البشر وهم الملائكة[٢] وجعل عزّ وجلّ كلمة الّذين كفروا وهي كلمة الشّرك[٣] السُّفلى لأنّها قُهِرت ، وأُذِلَّت ، وأبطلها الله تعالى ، ومحق أهلها [٤] وكلمة الله تعالى ، وهي دين الله وتوحيده وقول : لا إله إلا الله [٥] هي العليا على الشّرك وأهله الغالبة[٦] والله تعالى عزيزٌ في ملكه حكيم في صنعه[٧].

وبشأن هجرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم وخروجه من مكّة المكرّمة جاء في سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم [٨] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ(١٣) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، وكم[٩] من أهل قرية[١٠] هم أشدّ قوّةً من أهل قريتك مكّة المكرّمة [١١] الّتي أخرجتك يا محمّد أهلكناهم فلا ناصر لهم من الله تعالى حينما أنزل عزّ وجلّ بهم عقابه الّذي لا يُصْرَف ولا يُخَفَّف . وبشأن القول : ﴿الّتي أخرجتك ﴾ روعي لفظ

(١) تفسير الطّبري ٩٦/١٠ والجلالين .
(٢) تفسير الطبري ٩٦/١٠ .
(٣) تفسير الطّبري ٩٦/١٠ .
(٤) تفسير الطّبري ٩٦/١٠ .
(٥) تفسير الطّبري ٩٦/١٠ .
(٦) تفسير الطّبري ٩٦/١٠ .
(٧) الجلالين .
(٨) الآية ١٣ .
(٩) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٤٤/١٢ .
(١٠) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .
(١١) تفسير الطّبري ٣٠/٢٦ .

القرية[1] فلذلك أنّث[2] وبشأن القول : ﴿ أهلكناهم ﴾ روعي معنى قرية الأولى [3] .

ويلاحظ أنّ الآية الكريمة يجيء فيها القول ﴿ التي أخرجتك ﴾ وقد عرفنا أنّ المعنى : الّتي أخرجك أهلها . والحقيقة أنّ الحقّ جلّ وعلا هو الّذي أمر محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بالخروج ، فقد عرفنا أنّ كفّار مكّة قرّروا أخيراً قتل المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يكتفوا بالرّأيين القائلين بأسر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو إخراجه . وإنّما جاء في الآية الكريمة إسناد الإخراج إلى كفّار مكّة لأن هذا الإخراج أحد آرائهم وتمنّياتهم . وكأنّ الإخراج لمّا وافق هواهم أُسْنِد الإخراج إليهم بهذا المعنى الّذي إليه أومأنا . وإليك هذا الدّليل من السّنّة النّبويّة المطهّرة المبيّنة لمعاني القرآن الكريم . جاء في فتح الباري[4] عن عروة بن الزّبير أنّ عائشة زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالت : لم أَعْقِلْ أبويّ إلاّ وهما يدينان الدَّين ، ولم يمرّ عليهما يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم طرفي النّهار بكرةً وعشيّة . فبينما نحن جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظّهيرة[5] قال قائل : هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر : ما جاء به في هذه السّاعة إلاّ أمر . قال : إنّي قد أُذِن لي بالخروج .

ولقد أشارت سورة الإسراء المكّيّة الكريمة إلى سنّة الله تعالى الّتي لا تتحوّل ولا تتبدّل بإهلاك الله تعالى قومَ أيّ نبيّ أو رسولٍ يرغمه قومه الكافرون على الخروج من بلده . جاء في سورة الإسراء الكريمة[6] قول الحق جلّ وعلا :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا

---

(١) الجلالين .

(٢) تفسير الطّبري ٣١/٢٦ .

(٣) الجلالين وتفسير الطّبري ٣١/٢٦ .

(٤) ٤٩٨/١٠ حديث رقم ٦٠٧٩ .

(٥) نحر الظهيرة : حين تبلغ الشمس مداها في الارتفاع .

(٦) الآية ٧٦و٧٥ .

تَحْوِيلاً(٧٧) ﴾

والآيتان الكريمتان تسيران على غرار الآيات الكريمات الثّلاث السّابقات التي تتحدّث عن عدد من القضايا الممتنعة الوقوع . إن الآيات الكريمات الثّلاث[١] تقرّر أن كفار مكة كادوا يفتنون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن القرآن الكريم ليفتري على الله تعالى غير القرآن الكريم كي يتخذوه صديقاً لهم وخليلاً . إنّ كلّ هذه القضايا قد امتنع وقوعها بفضل الله تعالى الّذي ثبّت محمدّاً صلّى الله عليه وسلّم . ولو أنّ محمّداً صلّى الله عليه وسلم ركن إلى الكافرين واطمأنّ إليهم شيئاً قليلاً لأذاقه الله تعالى ضعف عذاب الحياة الدّنيا وضعف عذاب الآخرة ، ثمّ لا يجد عليه الصلاة والسلام نصيراً له يصرف عنه عذاب الله تعالى . إنّ كلّ هذه القضايا ممتنعة الوقوع بفضل تثبيت الله تعالى حبيبه صلّى الله عليه وسلّم [٢] .

ومعنى الآيتين الكريمتين من سورة الإسراء ، والله تعالى أعلم ، وإنّ كفّار مكّة كادوا يستفزّون النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويزعجونه[٣] من أرض مكّة المكرّمة ليخرجوك منها أيها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، وإذن لا يلبثون بعدك في مكّة المكرّمة إلاّ قليلاً، لأنّ الله تعالى يطردهم منها على الفور . تلك هي سنّة الله تعالى في الّذين أرسلهم الله تعالى من الرّسل قبل محمّد صلّى الله عليه وسلّم . ولا تجد أيهّا الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم ، ولا تجد أيها الإنسان لسنّتنا تحويلاً ولا تبديلاً . وبما أنّ الحقّ جلّ وعلا لم يُخْرج كفّار مكّة المكرّمة منها فذلك دليلٌ على أنّ الحقّ جلّ وعلا هو الّذي أخرج محمدّاً صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة ، وهو عزّ وجلّ الّذي أمره بالهجرة إلى المدينة المنّورة .

وإنّ الحق جلّ وعلاّ الّذي أمر محمّداً صلّى الله عليه وسلّم بالهجرة أمر الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم بالهجرة كذلك. وما أعظم ثواب المهاجرين في سبيل الله تعالى. ومن

---

(١) سورة الإسراء ٧٣-٧٥ .

(٢) انظر هنا مثلاً التّفسير البسيط ١٥/١٦٥ و ١٦٦ وتأملات في سورة الإسراء ٢٤٩-٢٥٤ .

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني ٢/٤٩٠ .

الآيات الكريمات التي أفاضت في الحديث عن الهجرة ومتعلَّقاتها الآيات الكريمات من سورة النّساء [1] قال عزّ من قائل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) ﴾

روى البخاريّ[2] عن ابن عبّاس أنّ ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثّرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم،يأتي السهم يُرْمَى به فيُصيبُ أحدهم فيقتله،أو يُضْرَب فَيُقْتَل،فأنزل الله:﴿ إن الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الآية.

ومعنى الآية الكريمة،والله تعالى أعلم، إنّ الّذين تقبض أرواحهم الملائكة[3] ظالمي أنفسهم بترك الهجرة[4] قالوا في أيّ شيءٍ كنتم من دينكم[5] قالوا كنّا مستضعفين في الأرض لا حول لنا ولا قوّة. قالوا لهم على جهة التأنيب والتّقريع:ألم تكن أرض الله تعالى واسعةً طولاً وعرضاً فتهاجروا فيها وتتركوا بلاد الكفر وتتحولوا إلى بلاد الإسلام.ولمّا لم يكن لدى القوم الجواب المقنع على ذلك السّؤال كان مأواهم نار جهنّم. وساءت النّار مصيراً.

---

(١) الآيات ٩٧-١٠٠ .

(٢) ٦١/٦ . وفتح الباري ٢٦٢/٨ حديث رقم ٤٥٩٦ .

(٣) تفسير الطّبري ١٤٧/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٤٣/٢ .

(٥) تفسير الطّبري ١٤٧/٥ .

وتَسْتَثْنِي الآية الكريمة المستضعفين من الرّجال والنّساء والوِلدان ذوي الأعذار الّذين لا يستطيعون حيلةً كي يفرّوا بدينهم ، ولا يهتدون سبيلاً ، ولا يَعْرِفون طريقاً كي يسلكوه . عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كانت أمّي ممّن عذر الله[1] وعنه : كنت أنا وأمّي من المستضعفين من النّساء والولدان [2] .

إنّ أولئك المستضعفين لعلَّ الله تعالى أن يعفو عنهم للعذر الّذي هم فيه وهم مؤمنون[3] وعسى من الله تعالى موجبة[4] وكان الله تعالى ولم يزل عفوّاً غفوراً رحيماً بعباده وبخاصة المستضعفون .

وقد أثنى الحقّ جلّ وعلا في العديد من المواضع من القرآن الكريم على كلَّ من المهاجرين والأنصار ، ونعى على كفّار مكّة المكرّمة كفرهم ، ومن هذه المواضع ما جاء في سورة الأنعام المكّيّة [5] إنّ السّورة الكريمة بعد أن ذكرت في نسقٍ أكبر حشدٍ من أسماء النّبيّين والمرسلين في القرآن الكريم كلّه وذلك في الآيات الكريمات من الثالثة والثمانين إلى السادسة والثمانين، وبعد أن أثنت على آباء هذه الكوكبة من النبيّين والمرسلين وذرّيّاتهم وإخوانهم،وذلك في الآية الكريمة السّابعة والثّمانين، وبعد أن أثنت على المهتدين وهدّدت المشركين وذلك في الآية الكريمة الثامنة والثمانين ، جاء الثناء على كلٍّ من المهاجرين والأنصار في قول الحقّ جلّ وعلا [6] :

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ(٨٩) ﴾

إن أولئك المنعم عليهم بالهداية ابتداءً بنوحٍ عليه السلام أوّل رسولٍ أرسله الله تعالى إلى

---

(١) فتح الباري ٢٦٣/٨ حديث رقم ٤٥٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٤/٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٤/٢ .

(٣) تفسير الطّبري ١٤٨/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٤٣/٤ .

(٥) الإتقان ٤٣/١ .

(٦) سورة الأنعام ٨٩ .

أهل الأرض هم الّذين آتاهم الله تعالى الكتب السّماويّة ، ومنها الكتب السّماوية الأربعة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وهي صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، وآتاهم الحكمة وفهم الكتب السّماويّة وآتاهم النّبوّة الطريق الوحيد إلى نعمة الرسالة كبرى نعم الله تعالى على عباده المصطفين الأخيار . فإن يكفر كفّار مكة بنبوّتك يا محمّد وبآيات الله تعالى البينات في كتاب الله تعالى العزيز ، كبرى معجزاتك يا محمّد ، فقد وكّلنا بها قوماً آخرين هم المهاجرون والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة[1] إنّهم ليسوا بشيءٍ من ذلك بكافرين ، بل هم مضرب المثل في الإيمان بكلّ ما جاءهم عن الله تعالى بواسطة رسوله محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم .

ومن المواضع في القرآن الكريم التي جاء فيها الثّناء العاطر على كلٍّ من المهاجرين والأنصار ما جاء في سورة الحشر أو سورة بني النّضير الّتي تحدّثت كثيراً عن الفيء . وممّا جاء في السّورة المدنيّة الكريمة قول الحقّ جلّ وعلا [2] :

﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٩٢ .

(٢) الآيات ٧-٩ .

الْمُفْلِحُونَ(٩)﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، إنّ الّذي رَدَّ الله عز وجل على رسوله من أموال مشركي القرى[١] التي تفتح هكذا [٢] فما حرّكتم عليه ولا أَتْعَبْتُمْ في السّير إليه الخيل ولا الإبل[٣] بل سرتم إليهم مشياً على الأقدام ، فحكمها حكم أموال بني النّضير، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه[٤] وما أفاء الله عليكم من أموال مشركي القرى كالصّفراء ، ووادي القرى، وينبع[٥] وإنّ أموال الفيء لله تعالى ، وللرَّسول صلّى الله عليه وسلم ، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب[٦] واليتامى ، وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الّذين لا مال لهم[٧] والمساكين ، وهم الجامعون فاقةً وذلّ المسألة[٨] وابن السّبيل ، وهم المنقطعون بهم من المسافرين في غير معصية الله عزّ وجلّ[٩] رددنا ذلك المال إلى تلك المصارف كيلا يكون المال متداولاً[١٠] بين الأغنياء وحدهم .

وما آتاكم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأمركم بفعله فخذوه وائتمروا بأمره ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتركوه ، إن الله شديد العقاب .

جعل الله تعالى الفيء كذلك[١١] كي يكون للفقراء المهاجرين الّذين أخرجهم المشركون

---

(١) تفسير الطّبري ٢٥/٢٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٠/٨ .

(٣) انظر السّيرة النبوية لابن هشام ٢٠٣/٣ ومعاني القرآن للفرّاء ١٤٤/٣ وتفسير ابن كثير ٩٠/٨ والجلالين .

(٤)تفسير ابن كثير ٩٠/٨ .

(٥)الجلالين والمحرر الوجيز ٤٦٦/١٥ .

(٦)تفسير الطّبري ٢٦/٢٨

(٧)تفسير الطّبري ٢٦/٢٨

(٨)تفسير الطّبري ٢٦/٢٨

(٩)تفسير الطّبري ٢٦/٢٨

(١٠) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٦/١٢ والجلالين .

(١١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٥/١٢ .

من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله تعالى ورضواناً منه عزّ وجلّ عليهم وينصرون الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم . إنّ أولئك هم الصّادقون حقّا .

والّذين اتّخذوا المدينة المنورة سكناً ، وابتنوها منازل ، وَأَلِفُوا الإيمان[1] بالله تعالى وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم ومِنْ قَبْلِ المهاجرين ، وهم الأنصار ، يحبّون من هاجر إليهم في مدينتهم [2] ولا يجدون في أنفسهم ولا في صدورهم حَسَداً[3] ممّا أعطاهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الفَيْء[4] ويؤثرون المهاجرين على أنفسهم ويخصّونهم بالفضل ولو كان بهم حاجةٌ وفاقة [5] ومن وقاه الله تعالى شحّ نفسه[6] وصانه من أَكْل أموال النّاس بغير حقٍّ[7] وأَكْلِ مال أخيه ظلماً[8] ووفّقه فأعطى كلّ ذي حَقٍّ حقه ، فأولئك هم المفلحون حقّاً في الأولى والآخرة ، النّاجون من عذاب الله تعالى ، الحاصلون على جزيل ثوابه جلَّ وعلا .

وإذا كان الأنصار رضوان الله تعالى عليهم يحبّون من هاجر إليهم من المسلمين فكيف بِحُبّهم للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم !

ومنذ أن وصل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى قباء ، وهي آنذاك قريةٌ تبعد عن المدينة المنّورة زهاء الميلين الاثنين شرع في بناء مسجد قباء . وفي الوقت الّذي وَصَفْت فيه سورة التّوبة مسجد قباء بأنّه مسجدٌ أُسّس على التقوى من أوّل يوم شرع في بنائه المصطفى صلّى الله عليه وسلم وَأَثْنَتْ على أهل قباء بأنّ فيهم رجالاً يحبون أن يتطهروا ، نَعَتِ السَّورة الكريمة على المنافقين الّذين بنوا في قباء مسجد الضَّرار الّذي أرادوا ببنائه الإضرار بمسجد قباء ، وبالمؤمنين ، ونهت عن القيام فيه مطلقاً ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣١٨/١٢ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٧/٢٨ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٨/٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ٢٨/٢٨ .

(٥) تفسير الطبّري ٢٨/٢٨ وانظر المحرّر الوجيز ٤٧٠/١٥ .

(٦) تفسير الطّبري ٢٩/٢٨ .

(٧) تفسير الطّبري ٢٩/٢٨ .

(٨) تفسير الطّبري ٢٩/٢٨ .

فوراً بإحراقه . جاء في سورة التّوبة [1] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، ومن المنافقين أولئك الذين اتّخذوا مسجداً مضارّةً لأهل مسجد قباء [2] وكفراً بالله لمحادّتهم بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم [3] وتفريقاً بين المؤمنين الّذين يصلّون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم [4] وترقّباً [5] وإعداداً للمسجد لأبي عامر الأوسيّ الفاسق الكافر الّذي حارب الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم من قَبْل بنائهم المسجد إذ إنه هو الّذي أمرهم ببنائه لينزل فيه إذا عاد من عند هرقل وقيصر الرّوم بالجيوش لقتال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم [6] وليحلفنّ بالله العظيم ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنة [7] من الرّفق بالمسكين في المطر والحرّ والتّوسعة على المسلمين [8] والله تعالى يشهد إنّ المنافقين لكاذبون .

لا تصلّ فيه أبداً [9] وقد أمر النّبي صلى الله عليه وسلم بإحراق مسجد الضِّرار على

---

(١) الآية ١٠٧ و ١٠٨ .

(٢) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ١٤٨/٤ وتفسير الطّبري ١٨/١١ .

(٣) تفسير الطّبري ١٨/١١ .

(٤) الجلالين .

(٥) الجلالين .

(٦) انظر تفسير الطّبري ١٨/١١ وأسباب النزول ٢٩٩ وتفسير ابن كثير ١٤٨/٤ والجلالين ، وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١٧١/١ في ترجمة ابنه حنظلة شهيد أُحد وغسيل الملائكة وهو أوسيٌ وهذا هو الصحيح .

(٧) تفسير الطّبري ١٨/١١ .

(٨) الجلالين .

(٩) الجلالين وتفسير ابن كثير ١٥٠/٤ .

الفور . لمسجدٌ أُسّس على تقوى الله تعالى من أوّل يوم حَلَلتْ فيه بدار الهجرة وهو مسجد قباء [١] أَوْلَى أن تقوم فيه مصلِّياً [٢] فيه رجالٌ من الأنصار يحبّون أن يتطهّروا بغسل فروجهم من البول والغائط بالماء [٣] والله تعالى يحب المتطهّرين فيثيبهم [٤] .

وقد جاء في نعوت الّذين يبنون المساجد وثوابهم في سورة التّوبة [٥] قول الحقّ جلّ وعلا :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨) ﴾

وقد أوحت هذه المعاني بالقصيدة التّالية :

---

(١) الجلالين وانظر تفسير ابن كثير ٤/١٥٠ .

(٢) تفسير الطّبري ١١/٢٠ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/١٥١ .

(٤) الجلالين .

(٥) الآية ١٨ .